كان رجلاً وغريباً

اسم العمل : كان رجلاً وغريباً
النوع : رواية
تأليف : نجوى عبدالرحمن
لوحة الغلاف : إهداء الفنان علي عاشور
إخراج داخلي : عبدالقادر فايز
الطباعة : اتيليه تاتش – المحروسة
الناشر : الدار للنشر والتوزيع
المدير العام : محمد صلاح مراد
تليفون : ٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧
البريد الإلكتروني : eddar_press@yahoo.com
فيس بوك : www.facebook.com/eldarpublish
رقم الإيداع : ٢٠١٨/٢٥٩٩
التـرقيم الدولي : I.S.B.N.: 978-977-702-204-0

كان رجلاً وغريباً

رواية

نجوى عبدالرحمن

الدار
للنشر والتوزيع

٢٠١٨

الإهداء

الي كل رجل.. عاش بقيم الرجوله...

كنت رجلا....

وغريبا...

نجوى عبدالرحمن

مفتتح

كان رجلا وغريبا لم يرو قصته لاحد لانه لم يكن يعرف انه قصه تروي. كان يؤمن كما امن كل البشر وكما كان الجميع يعرف بان الأشياء التي كانت تحدث يمكن ان يخبر بها احدا.

حدث نفسه بعد ان اغلق حجرته عليه، واطفا نور المصباح. استرق السمع لاصوت. لكن الوشوشات لاتغادره، تخيفه تلك الوشوشات التي بلا مصابيح.

عاش عمره راضيا بهزائمه عاش عكس نفسه، حياه كانت غيرحياته التي كان يرجوها، عاش شبه حياه، وشبه محبه وشبه رغبه وشبه لقمه، فعلا حياته كانت نصف، عاشها كذبه صادقه جدا وجميله جدا فهو ينتظر شتاء بعد شتاء بنفس شهيه اول شتاء ويلهو تحت المطر ومازال يملك نفس الشغف..مازال قادرا ان يمنح نفس الاشياء.. التي لايقدرون هم على منحها..

يجوب شوارع المدينه قاطعا دروبها يتامل وجوه البشر بحثا عن وجهها الجميل وحبه المفقود واثار اقدامهما بدروبهما المشتركه

كانت الوحده دربا من دروبه يتعايش معها وبها؛ ويالفها كما كان يالف ملامحه جيدا يمشي والليل والنهار يتعاقبان فوق الجسد المنهك، يمشي وذاك السور المرتفع يمشي حوله.. ويضييق

وايامه تتساقط كأوراق الشجرتحت قدميه مشي ولم يسأل ولم يعد ينتظر الاجوبه.

احس بنعاس شديد النوم يأتي الي جسده وهو يتمدد علي مساحه من الابيض لاتنتهي، هبط الي الاسفل والظلام سريعا ينتشر، تتسع العينان لا اري.

قال:

تمدد وبجوار جسده وضع مسبحته، وايقونه المسيح، وكتاب العهد القديم، والهارمونيكا. مبتسما. يشتم رائحه البحر التي تغلف المكان...

البدايه

طفلا . كان . مثل جميع الأطفال في سني عمره لكن اختلفت ظروف نشاته عنهم فهو ولد في اسره من اب اصله عربي نزح من الأراضي الحجازيه مع عائلته مرورا بالشام التي استقروا بها لبعض الوقت للتجاره لكن ظروف التجاره لم تتيسر معهم بل تعثرت هناك فقرروا الرحيل الي مصر وقد بدات حركه التجاره بها تزدهر وأيضا سمعوا عن تشغيل قناه السويس والمدن الجديده علي ضفتيها وانتعاش حركه البيع والشراء والتجاره واثناء تواجدهم بالشام التقي ابيه بامه الشاميه الجميله واحبها واقنع والديه للزواج بها

وكانت البنت الشاميه احدي بنات الاسر متوسطه الحال

ولدى ابيها خمس بنات غيرها ووافق ابيها علي زواجها منه بعد ان امهره مهرها بالاضافه لشبكتها القيمه وتزوجها ونزحت معه ومع عائلته الي مصر واستقر بهم المقام في الميناء الجديد بورسعيد٠٠كان ذلك في أوائل القرن العشرون

تحديدا دخلوا المدينه مع بدايه العام الثامن من القرن العشرين كانت المدينه هادئه ونظيفه لمح جمالها ابيه وهو بالمركب مازال وقال لزوجته الشاميه لقد تركتي الشام الي مدينه بجمالها وسحرها وابتسمت الزوجه فلقد استشعرت انها المدينه التي ستقضي بها حياتها القادمه

ولم يكن لهم درايه بالمدينه الجديده الا من خلال احد الركاب في المركب التي اقلتهم من سواحل الشام الي ميناء بورسعيد كان شاميا ونزل الي بورسعيد قبلهم وعندما استقرت احواله عاد الي الشام لاصطحاب زوجته وابناءه

فقد ركبوا البحر مفضلينه علي الطريق البري وعلموا من هذا الراكب ان المدينه تنقسم الي قسمين احدهما قريه للعرب والأخرمدينه للأجانب وعليه القوم وقتذاك من العائلات الارستقراطيه وكبار الاغنياء .

اصبح هذا الراكب دليلهم خاصه وقد اوصاه والد الزوجه الشاميه عليهم فلقد تعرف عليه واوصاه بخدمتهم من اجل ابنته وليكون همزه الوصل بين البنت واهلها ويرسل لهم باخبارها

عندما نزلوا الي المدينه اصطحبهم الرجل الي حي العرب وساعدهم علي استئجار شقه كبيره لتتسع لكل هذا العدد من العائله كانت الاقرب لحي الافرنج او مدينه الاجانب وبعيده عن عشش الصيادين وبيوت العمال اللذين يقومون بشحن السفن وتفريغها

وفي اليوم التالي اتاهم واصطحب الاب وابناءه الذكور حتي يستأجروا محلا في موقع متميز وعلي ناصيتان في الشارع التجاري والذي هو امتداد ايضا للشارع التجاري بحي الافرنج حتي يستطيعوا ممارسه تجاره المشغولات الذهبيه والعمله فيه

وبدأت الاسره في الاستقرار السيدات اشرفن علي تجهيز السكن وفرشه بعد ان اشتروا لوازم البيت من اسره وكنب وابسطه وصحارات لتخزين الملابس

والأب والشباب من ابناءه وازواج بناته جهزوا المحل وعرضوا سلعهم وبدات الحياه في المدينه الجديده التي سرعان ماتأقلموا معها ومع أهلها والغرباء أيضا من الأجانب او السائحين الذين كانت تأتي بهم المراكب فينزلو للمدينه للشراء او تبديل العمله والتسوق

قسمت النسوه العمل والام هي من تشرف علي اعداد الوجبات وتجهيزها بمساعده بناتها وزوجات أبنائها وكان الترتيب والغسيل لكل العائله من نصيب الزوجه الشاميه التي تكاسلت النساء جميعهن عن مساعدتها والأكثر انهن كن يعهدن لها أيضا بمساعده حماتها في اعداد الطعام

كانت هي تحب ذلك حتي تتعلم من حماتها طريقه اعداد الماكولات التي يحبها زوجها

زاد العمل عن طاقتها بالرغم من حملها وانجابها الا انهن لم يرحمنها او يخففن عنها وهي لا تشتكي او تمل فلقد ربتها امها علي الطاعه وبشاشه الوجه

وقد انجبت ولدا اسمته علي اسم حماها احمد وبعده بعام انجبت بنتا واسمتها باسم حماتها زبيده

ومع ولاده البنت وزياده الأعباء علي الاب واحساسه باضطهاد عائلته لزوجته خاصه انها الغريبه الوحيده وسطهم فقد كان اخوته الذكور متزوجين من بنات عمومتهم وأيضا اخواته البنات

لم تكن امه عادله في معاملتها فقد كانت تعاملها كخادمه استجلبتها من الشام حتي تخدم هذه العائله الكبيره العدد

كان البيت كبيرا مكون من ست غرف كبيره ورواقان ومطبخ كبير وحمامان بيت كبير يتحمل هذا العدد الكبير والتي تحملت الزوجه الشاميه الخدمه للجميع وكانت تنهك مابين تلبيه احتياجات الاسره وبين ابنها وبنتها

واخر الليل عليها ان تستعد لقدوم زوجها والرجال من العمل لتقدم لهم العشاء والشاي وتنظف مكانهم ثم تاوي الي فراشها لتنام دون كلل او ملل او شكوي ولا تفارق وجهها الابتسامه التي تزيد من جمالها

كانت زوجته صبوره ولاتتحدث او تشكو وهو يعلم كل ذلك حتي جاء الوقت الذي اختلف مع اخوته في العمل حينما تعامل معه اخوته معامله سيئه واحس انه يعمل لديهم وليس شريكا لهم

كان ذلك بحجه ان مالهم لن يذهب للغرباء وكانوا يقصدون هنا زوجته وابنائه منها ولم يجد من ابيه او امه أي تعاطف معه بالعكس فقد تضامنوا مع موقف اخوته

تحمل علي مضض واسرها بنفسه وكان يبحث عن عمل ليستقل بحياته هو وزوجته وفعلا تيسر له عمل براتب كبير في شركه قناه السويس توسط له بالعمل فيه احد زبائن المحل لما لاقاه فيه من بشاشه وحسن تعامل.

انفصل عن محل المشغولات الذهبيه والتحق للعمل بشركه قناه السويس التي منحته بعد فتره أيضا سكن عباره عن فيلا طابقين ولها حديقه في خلفيه الفيلا مما شجع الزوجه الشاميه بعد انفصالها عن الحياه مع اهل الزوج من حماتها وحماها واشقاء زوجها وشقيقاته وزوجاتهم

شجعتها حياتها المستقله الجديده ان تاتي بشغاله تعاونها في اعمال البيت وانجبت بعد فتره للمره الثالثه وهذه المره توأم ولد وبنت ." زين وزينه."..تلك الاسماء التي حرصت الام الشاميه علي تسميتهم بها..تيمنا بزينه الحياه الدنيا...

كان زين وزينه من اجمل مارأت عين والدهما...وقد فرح لقدومهم ايما فرح للدرجه التي اثارت غيره اشقاءهم الكبار فقد انسته الفرحه ان لديه ابناء اخري

هـرب احمـد وزبيـده ليلـه سـبوع اشـقاءهم ولجـأوا الـي جـدهم وجـدتهم لابيهم.. واشتكوا من فرحـه ابيهم والتـي انسته وجودهم..وزاد من الامر ان الجد والجده لم يقدروا فرحه ابنهم ولكنهم زادوا من تدليل الولد والبنت وعنـدما اتـي والـدهم لاصـطحابهم كـانوا يرفضـون العـوده بحجـه ان هذا بيـتهم لكنـه استرضـاهم وعـادوا معـه وبـداخلهم غضاضـه علـي اخـوتهم الاصغر..

كـان يجـاور بيـتهم فـيلا الخواجـه جـورج والتـي تسـكن بهـا اسـرته حيـث يعمل بالهيئه وقد قدم من اليونان بزوجته وانجب ولدا وبنت البنت كانت تكبـر التـوأم بحـدود شـهران...وقد عاونتهـا جميلـه الزوجـه الشـاميه اثنـاء وضعها واحتفت معها بقدوم ابنتها تاليا الي الحياه...

تلقفتهم يد الجاره اليونانيه كاتينا لتعاون امهم في تربيتهم وتضيف اليهم مـن اسـس التربيـه الاوروبيـه عـادات التحـدث والاكـل وكيفيـه ارتـداء الملابـس ببسـاطتها وشـياكتها وكثيـرا ماكانـت تاخـذهم لبيتهـا المجـاور لبيتهم ليلعبوا مع اولادها في الحديقه ومن هنا تعلم حب الاشتغال بيديه وشغف القراءه فقد كانت كاتينا تمتلك مكتبـه لـلادب اليونـاني واداب اوربـا وقد شـجعته وفتحت امامـه عوالم جديده عن الغرب وشمال المتوسط الذي لم يكن يعرف عنه شيئا

كان يفصل فيلا كاتينا عنهم سور بسيط بين الحديقتين كانت امه تجلس بجوار هذا السور تدير حواراتها مع كاتينا المهتمه بمعرفه كل شئ عن الشام وعاداتهم وازياءهم ومأكولاتهم

وكثيرا ما كانت تتذوق ماتصنعه امه من مأكولات وحلويات تتناولها من خلال السور المفرغ وتثني علي طعمها وقد كانت تتحدث العربيه بنفس اتقانها لليونايه فيماعدا بعض الحرف التي تظهر بلكنتها اثناء التحدث او بعض الضمائر

وكثيرا ماكانت يداها تتلقفه من فوق السور لتأخذه لعالمها المحاط بالثقافه والفن واللعب والذي لايستهوي ابنها وبنتها اللذين كانوا يهتمون اكثر بعالم البحر وبالعلم ، فقد كان ابنها يطمح بأن يكون بحارا يجوب العالم علي متن السفن

امابنتها فكانت تحب اليونان وتتعلق بها كلما اخذها والدها بزياره قصيره الي اهله هناك

كانت لاتتوقف بعد عودتها عن الحديث عنها وعن اهلها ، لذلك وجدت فيه كاتينا ابنها الذي ارضعته من صدرها مع ابنتها وايضا الذي تعلم علي يديها حب المعرفه وشغفه بالحياه

اسعد اوقاته عندما كان يرافقها للتسوق في السوق الافرنجي والذي كان يطلق عليه "البازار" كانت تتسوق عكس المصريين فهي تشتري الفواكه

بالعدد وكانت عائلتها مكونه منها وزوجها الخواجه جورج وابنها فيكتور وابنتها تاليا فكانت تتسوق كل شئ بالعدد اربعه

وايضا عندما تذهب للجزار كانت تشتري اربع قطع متساويه من اللحم وتزنهم ، وكثيرا ماكان يتسأل لما لاتفعل والدته مثلها ، فيأتيه الرد من جميله:

اننا غيرهم الاجانب لايأخذوا اكثر من حاجاتهم اما نحن فنأتي بالكثير لعل زارنا ضيف فيجد احتياجه وواجب ضيافته

كان عالم كاتينا بالنسبه له عالما سحريا فهي تعلم الكثير وتعرف الكثير من الحكايا عن التاريخ اليوناني وايضا المصري وكثيرا ماكانت تقف امام المباني لتشرح له جمال العماره والي اي عهد تنتمي .

كانت جولاته معها تزيده علما وتضيف الي معارفه معلومات جديده واهمها التأمل للاشياء والاستغراق في تاريخها .

احب زين عالم كاتينا امه الثانيه والتي ارضعته هو واخته زينه فصار ابنا لها تدلله مثل فيكتور وتعلمه بالحبوب من الفاصوليا والترمس العد والطرح والجمع والقسمه

كان التعليم عند كاتيا لعبه محببه له ولاخته ولاولادها ايضا فتعلم الكتابه والقراءه والعمليات الحسابيه قبل دخول المدرسه .

كانوا اشبه بامهم في جمالها وبياض بشرتها وشعرها الذهبي المنسدل كالحرير علي ظهرها.

كان الفارق الزمني بين الاخوه الكبار وبين التواءم حوالي ست سنين..

كان الأخ الأكبر ذا سطوه وتحكم علي الصغار وحتي علي الام نفسها.

هذه السلطه منحها الاب له عندما كبر واشتد عوده فكان يقول له:

انت رجل البيت في غيابي .

اما الأخت الكبرى جميله الملامح لكن ملامحها عربيه كانت تشبه الي حد كبير عماتها سمراء وعيناها حاده في نظراتها كعيون الصقر.

حاده الطباع فقد دللها جدها لابيها لانها تشبه بناته وزاد هذا التدليل من حده طباعها وانانيتها وقسوتها علي اخيها واختها الصغار .

وغالبا ما كانت تغار من جمال الشقيقه الصغري فكانت تتحين أي فرصه لمعاقبتها وعندما كان يدافع عنها توءمها كانت تطاله أيضا كف الغدر من الأخت الكبيره علي وجهه فينزوي جانبا اخذا زينه بحضنه ويبكيان

ولكي يخفف الم الضرب عنها فقد كان يواسيها بانهم سيكبرون وعندها سيستطيعون الاخذ بحقهم من احمد وزبيده وانهم سيتزوجون ويصير عندهم أبناء وهم سيضربون أبنائهم كما يفعلون معهم

وسرعان مايزول الألم وتحل محله الابتسامه علي وجه شقيقته وتشرق ابتسامتها التي تبرز جمالها اكثر

ما كان يصبرهما ويعينهما علي معامله شقيقيهم هو معامله امهم وحبها لهم وصوتها الشجي وهي تغني لهم اغنياتها الشاميه عند النوم .

وأيضا صوت الاب الحنون وهو يوقظهم من النوم ليمنحهم مصروفا او يعطيهم ماتي لهم به من حلوي ويده الحانيه التي تمسح عنهم قسوه اخويهم في غيابه وكأنه يعلم ماكان يحدث فيداويه بتلك اللمسات الحانيه .

او وهو يستجلب له الهارمونيكا التي طلبها منه كي يعزف عليها مثل ابن جارهم فيكتور والذي كانت امه تعلمه العزف عليها وصارت تعلمه هو ايضا العزف حتي اتقنه

كان يوما صعبا عليهم عندما انتقلت كاتينا بأولادها الي سكن ببورفؤاد علي الضفه الاخري من القناه حيث ترقي زوجها وحصل علي سكن ببورفؤاد

ليلتها بكي كثيرا لبعاد امه الثانيه نعم سيراها لكن علي فترات متباعده بعد ان كان يراها يوميا ويتعلم منها

وعندما جاءت لتوديعه مع وعد بزيارتهم كان معها صندوق خشبي كبير مملوء بالكتب القيمه تركته له كهديه وكي لايقطع عاداته بالقراءه وعندما فتح الصندوق وجدها قد تركت له كارت كتبت عليه " تذكر دائما ماتعلمناه وان الحكايا هي دائما حكايه ، لانعرف اين بدأت ولا اين تنتهي ،الحكايا دائما حكايا لاننا نجد انفسنا وسطها ونسير، وتسير ايامنا معنا وتتساقط من عمرنا يوما وراء يوم كأوراق شجره قد جفت مع دخول الخريف.

تذكر دائما ان الحجاره هي حكايا لبشر عاشوها احيانا بالدفا واحيان اخري بالبروده، تذكرني دائما . كاتينا."

وكان الاب يحضر لشقيقته عروسه شديده الجمال ويأخذها بين ذراعيه وهو يقبلها ويداه تمسح علي شعرها وهي تبتسم للاب الحاني

دخل زين وزينه المدرسه وكان هذا اول انفصال بينهم فقد دخلت اخته مدرسه الراهبات اما هو فقد الحقوه بمدرسه للبنين وكان انفصالهم مؤلم بأول يوم دراسي والأيام التي تليه

وصارت امنيتهم انقضاء يومهم الدراسي حتي يعودوا للبيت ويتبادلوا الاحاديث والحكي عن عوالمهم الخفيه المختلفه

تحكي له اخته عن الصرامه والنظام والهدوء والنظافه المتواجدين بمدرستها ذات البوابه الضخمه والتي تشبه بوابات القلاع

وكان خياله يعمل ويتخيل مايدور خلف هذه البوابه وداخل هذا المبني الجميل ويتذكر دائما كلمات كاتينا وتستكمل شقيقته الباقي من خلال الحكي والوصف

اما عالمه هو فقد كانت مدرسه للبنين وكان لايتعامل مع اقرانه ولكنه يعكف فقط علي الاستماع للدرس فقد كان مدرسوه من الانجليز وعليه تعلم اللغه والتحدث بها وانتظار العوده للبيت للقاء اخته وسماع الحواديت التي تنقلها اخته عن هذا العالم المجهول بالنسبه له

وايضا ليعلمها اللغه كتابه وتحدث حتي يكون لهم عالما خاصا بهم بعيدا عن عوالم اخويهم .

كان يتمتع بموهبه ابتكار وعمل اشكال فنيه من بقايا الأشياء والخامات المتواجده بالبيت يقضي وقتا كبير في العمل بيديه ليفاجئ شقيقته ببيت لعروستها القماش.

او عمل مجموعه من الكراسي والترابيزات من اغطيه زجاجات المشروبات الغازيه التي كانت تحتفظ امه له بها او بقايا الخشب المتواجد بالبيت

وقد اختص له جزء صغير بالجنينه لتكون ورشته الضغيره والتي حرصت الام علي ان تتطلق عليها ورشه لاعطاءه حافزا بانه ينتج فعلا

وكانت الورشه هي المكان المحبب له ولشقيقته التي كانت تجلس معه فيها ويتبادلان الحوار والحكي وأيضا اللعب

وقد صنع الاب لهم مرجيحه بين شجرتان بالقرب من ورشته الصغيره فكانت تجلس شقيقته علي المرجيحه بينما هو يصنع احدي لعبه ويتبادلان الحديث

وحتي يتلاشوا أيضا الاحتكاك باخويهم الكبار الذين انشغلوا عنهم باستعدادهم لممارسه حياتهم

لم يهون عليهم حياتهم من اخوتهم ومن فراق كاتينا واولادها أيضا سوي انتقال احدي خالاتهم من الشام واستقرارها وأولادها وزوجها بمصر وبنفس الميناء الذي يسكنون به ولكن بحي بعيد عن حيهم

وكانت الخاله روحيه تاتي لزياره شقيقتها وتاتي معها بناتها الثلاث سلمي وعاليه والصغري جميله علي اسم خالتهاواللاتي تقارب اعمارهن اعماره هو وشقيقته ماعدا سلمي كانت في سن زبيده او تقترب منها

كان يانس لوجودهم ويتفنن في اسعادهم ويساعدهم في ركوب المرجيحه او يعلمهن بعض الألعاب وهن يعلموه اللغه الفرنسيه التي يتقنونها وسرعان ماتعلمها تحدثا وكتابه منهم

ويظل السمر بين الاولاد الي ان تنتهي الاختين من صناعه الحلويات الشاميه لاولادهم وازواجهم وكثيرا ماكانت كاتينا تأتي بأولادها لزيارتهم ويجتمع الاولاد جميعا في الحديقه ويتبادلون المعلومات والاحاديث حتي تنصرف كاتينا بأولادها مبكرا للحاق بميعاد المعديه التي تعبر بها للبر الثاني

يودعها حزينا الي ان تأتي في زياره اخري فيبتهج لوجودها

كان زوج الخاله حلواني يصنع الحلويات الشرقيه من البسبوسه والبقلاوه والكنافه وعندما اتي الي بورسعيد استاجر محلا صغيرا وجهزه بالادوات اللازمه من فتارين وفرش وصواني لعرض منتجاته

اما تصنيع الحلويات فقد كان يتم بالبيت بمساعده زوجته وبناته ومع مرو الأيام بدء صيته يذاع والاقبال يتزايد عليه خاصه من نظافته وطعم حلوياته المميزه

استاجر محلا اكبر واحتفظ بالمحل الصغير وبدء يستقدم عماله من الشام وازدهرت صناعته

كانت مواسم الأعياد الدينيه عنده هي الأيام التي لاتاتي فيها الخاله او البنات الي بيت خالتهم لانهم كانوا يعدون الحلوي وعرائس المولد والحصان

او الكنافه والقطائف وحلوي الشام في رمضان

ومع ازدياد الطلب عليه وعلي منتجاته تشارك مع شريك من بلده استقدم اسرته ليستقروا وينطلقوا من بورسعيد لفتح فرعا بدمياط

كثيرا ماكانت تتكرر زياره الخاله وبناتها اليهم محملين بالبهجه والفرح وحلويات زوج الخاله الشهيه

خطبت زبيده وانشغلت بالاعداد لزواجها وكانت ستتزوج خارج بورسعيد من احد اصدقاء اعمامها والذي تعرف عليه اثناء زياراته لبورسعيد للتجاره

انهي الأخ الكبير دراسته المتوسطه والتحق بوظيفه وصار لهم اهتمامات بعيده عن عالم الصغار

جاء يوم زفاف الشقيقه الكبرى والتي ستغادر المدينه لانها ستتزوج ببلده زوجها وكان الاحتفال سيقام بحديقه المنزل

والتي أصرت شقيقته ان تزيل ورشته وتلك المرجيحه التي صنعها الاب لاخته حتي تسمتع بالتارجح اثناء انشغاله عنها بتصنيع شيء

وكان الصدام واضح بينه وبين شقيقته التي قامت بعصبيه بتدمير كل ماقام بتصنيعه ووقوف الام عاجزه امام جبروتها وعصبيتها خاصه ان هذا يوم زفافها وستغادر البيت الي مدينه اخري

اما هو فقد صعد الي حجرته واغلق علي نفسه بابها وقرر الايغادرها الا بعد رحيل شقيقته من البيت

باتت كل محاولات ابيه وامه واقاربه بالفشل ولم تفلح تهديداتهم او توسلاتهم في إخراجه من حجرته ولم يستجب او يفتح بابها الا لشقيقته تواءم روحه فقد أتت بالاكل وحلويات الفرح وقررت البقاء معه في حجرته حتي انتهاء الفرح

ظلوا في الحجره حتي مغادره شقيقتهم البيت مع زوجها والغريب ان الشقيقه الكبرى لم تفكر حتي ان تاتي لتودعهم ولم يفرق معها وجودهم بالفرح ام لا

خرج الصغار من حجرتهم نزلو الدرج كان السكون يلف البيت فقد انهك الجميع بعد يوم عاصف وكيف لا والبنت الكبرى ستغادر الي بيت زوجها فقد تركت وراءها دمار الحديقه وهي التي أصرت ان يكون فرحها بها

عرض عليها الاب والام ان يكون الفرح بصاله للافراح ولكنها رفضت باصرار وكانها كانت تريد ان تترك ورائها خراب الحديقه وأيضا فوضي البيت

لفت عيونهم المكان المفعم بالصمت وكانها اشاره للبدء بالعمل فقد بداوا بالتنفيذ لاعاده كل شيء لمكانه وجمع ماتبقي من ماكولات ومشروبات ونقلها للمطبخ

اما الاطباق الفارغه فقد نقلوها الي حوض الغسيل المتواجد بالحديقه التي كان للمطبخ بابا يؤدي اليها وقاموا بالتناوب في تنظيف الاطباق وغسلها والاكواب أيضا ووضع كل شيء بمكانه

حتي جاء الدور علي الحديقه فقد جمعوا مخلفات المعازيم من ارضيتها ونظفوا اثار الفرح والتدمير الذي حدث وبداؤا بترتيب الورشه مره اخري واعاده المرجيحه وربطها بجزع الشجره كما كانت

فتح المياه وامسك بالخرطوم ليروي الزرع وكانه يغسل عن نفسه عذاب يوم مضي ويستقبل يوم جديد بابتسامه وهدوء وصفاء نفس

كان ينظر للبيت بارتياح بعد مغادره الأخت الكبيره وكانه تحرر واصبح البيت ملكهم

احس وقتها انه كان يزيل ماعلق بعمره وعمر شقيقته من ماسي ويتذكر ذلك الركن الذي كانوا يختبئون تحت سلم الدور الثاني بعد تعدي اختهم عليهم بالضرب وكيف كان يحتضن شقيقته ويبكي وهو يحاول اعاده ابتسامتها اليها

استيقظت الام وايقظت الشغاله كي ينجزوا العمل قبل ان يستيقظ زوجها كي تعد طعام الإفطار فتفاجؤا بما تم وان الصغار انجزوا كل شيء

لم تصدق الام عينيها اللتان كانت تملؤهما الفرح والدموع معا واسرعت لتوقظ الاب وتخبره بما حدث

اخذهما الاب بحضن تناست معه اوجاع الامس ووعدهم بفسحه وانه سيقوم برحله بحريه بمياه القناه وبعدها سيشتري لهم مايطلبونه مكافئه لهم علي مافعلوه وتعويضا عن ماتم من شقيقتهم بالأمس

اما الأخ الأكبر فقد استيقظ وقبل ان يلقي الصباح كان يسال عن الإفطار ولم ينتبه لما فعله اخوته وعندما اخبره الاب بذلك ضحك كثيرا واستهزأ بأخيه الأصغر قائلا:

ومن امتي الرجاله بيشتغلو شغل الحريم؟

خلاص من هنا ورايح تنضف اوضتي وتحضر لي هدومي!

زجره الاب وعنفه قائلا : بدلا من ان تمد انت يد المساعده تتهكم علي اخيك، وكادت ان تحدث مشاده كلاميه بين الاب وابنه الأكبر لولا تدخل الام بان عليه ان يتناول طعام الإفطار حتي يلحق عمله

ادرك وقتها ان ماسينغص عليه أيامه القادمه سيكون أخيه الذي لن يفوتها له

وادركت الام ذلك وادركت أيضا انه كبر ويعمل وان شقيقته تزوجت وانه يغار من ذلك وهو الأكبر منها برغم ان سنه لم يتجاوز العشرين

انتحت بزوجها وحدثته عما دار بنفسها ووافقها زوجها علي استنتاجها مشيرا عليها بالبحث له عن بنت الحلال من بنات احدي صديقاتها او الجيران او احدي بنات خالته

كانت جميله اصيله وكانت تريد ان تصل الرحم بين زوجها واشقاءه وان تزيل ماعلق بنفس زوجها من اخوته وخاصه انها كانت تزورهم بين الحين والاخر وكانت حريصه ان تصل ماانقطع بين عبد الحليم زوجها واهله وكثيرا ماكانت تضغط عليه لزيارتهم بالاعياد والسؤال عن حماها وحماتها وكانت تعرف ان لدي شقيق زوجها بنتا فاتها قطار الزواج بمعايير الزمن الذي يحيوا فيه وهي تصغر ابنها بشهورفقد كانت تسمع كثيرا من زوجه شقيق زوجها ان البنت كبرت ولم يتقدم احد لخطبتهاوكثيرا ماهونت عليها في احاديثهم الجانبيه

فاشارت علي زوجها بتزويجها لابنها وبذلك تتحسن العلاقات بين زوجها واشقاءه

عارض الزوج ولكنها بابتسامتها وهدوءها عاودت المحاوله وامام الحاحها ترك لها الموضوع تناقشه مع احمد ثم تفاتح فيه زوجه شقيقه كجس نبض للموافقه

عرضت الام الموضوع علي ابنها الذي رحب بانتهازيه شديده احستها بكلامه عندما قال:

انا لايهمني صله الرحم مايهمني هو حصولي علي حقنا المادي عند اعمامي وانا بالجوازه دي هاخد حقي ويمكن اكتر

انزعجت الام من كلامه وطلبت منه الا يتفوه به امام ابيه حتي لايرفض

وقامت بزياره زوجه شقيق زوجها واصطحبت معها زينه نظرت لها زوجه العم وهي تقول :

لو اعطي الله نصف جمالك لابنتي فاطمه كان زمانها اتجوزت من زمن

ابتسمت الام ووجدتها فرصه لفتح الحوار فقالت :

لـيس المهـم الجمـال المهـم الأصـل والتربيـه وفاطمـه عنـدها الاتنـين وعشان كده ابن عمها طالبها للجواز

لم تصدق السيده ماسمعته وطلبت اعاده الكلام مره اخري

وعندما اعادته علي سمعها قامت واحتضنتها وطلبت منها ان تمهلها لبعض الوقت

تغيبت لحظات وعادت ومن ورائها زوجها شقيق الزوج الأكبر الذي دخل مرحبا بزوجه أخيه واحتضن بنت شقيقه وقبلها وهو يقول لها :

يابنت الغالي ، وجاءت العروس وهي تحمل صينيه عليها أصناف الحلويات والمشروبات وضعتها وسلمت علي زوجه عمها وقبلت يدها

اخبرتهم الام ان ابنها وابيه سوف يحضران بعد صلاه العشاء لخطبه الابنه رسميا وانهما بانتظار عودتها تحمل الموافقه

كان يتابع عن بعد ما تعد امه له من تزويج الأخ الأكبر وكان يمني نفسه بسرعه إتمام ذلك حتي تستقر أحوال بيتهم ويغادر احمد كما غادرت زبيده من قبله

وبالفعل تمت مراسم زواج شقيقه ولكن هذه المره ببيت العائله وانتقل الابن الأكبر ليسكن ببيت عمه الأكبر مع عروسه مع وعد ان يأتي هو وزوجته يوم بالاسبوع يقضيه مع عائلته

كم كان سعيدا حين استقل بغرفه له اصبحت عالمه الذي كان يتشاركه وفقط مع شقيقته المحببه الي نفسه ولما لا وهي توأم روحه وولادته

استطاع وقتها ان يفتح صندوق الكتب الخاص بكاتينا وان يرص الكتب علي احد ارفف الدولاب حتي يتسني له رؤيتهم والاطلاع فيهم

اجتهد بدراسته وانجز المرحله الاولي منه وهي الابتدائيه ودخل الي المرحله الثانيه وهي الكفاءه ماتعادل الاعدادي وبدا يقرا الشعر والادب ويتابع بشغف الاخبار واحدث الأفلام بالسينما والتي كان يذهب اليها مره بالاسبوع ليعود ويحكي لاخته وامه احداث الأفلام شاهدها

كان حزنه شديد جدا عندما اتت كاتينا لتوديعهم لانها ستعود الي بلدها وقد انهي زوجها عمله بالقناه وايضا كانت الاجواء مشحونه بأحتمال قيام حرب عالميه ثانيه فقرر زوجها العوده الي اليونان ، صعد الي حجرته ليتحاشي وداعها عندما فتحت الباب ودخلت لتحتضنه مودعه له وتعطي اليه برابطه مغلفه ومربوطه بشريط من الساتان قائله له :

هذه نسخه نادره من العهد القديم اردت ان اهديها اليك لعلك يوما تقرأها عندما تكبر لكنها ستذكرك دوما بي ، وسوف اراسلك دائما وعندما تنقطع رسايلي تعلم وقتها انني فارقت عندها لاتحزن ولكن توجه الي البحر وانظر امامك سأكون هناك لتلقي لي بزهره جوريه من ازهار امك التي تزرعها بيديها .

قبلته بجبينه واحتضنته ودموعها تتساقط علي وجهه وغادرت.

انطوي علي نفسه فتره وهو يتألم من فراق كاتيا كان يظل حبيس غرفته ويقلب في صندوق الكتب الكبير وهو واجما

كانت الوحيده القادره علي إخراجه من عالمه الخاص الي عالمها هي زينه وكان هو مستمع جيد لها وأيضا لعالم البنات من خلالها او من خلال بنات خالته والتي بدات مشاعره واهتمامه تتحرك تجاه البت الوسطي لخالته والتي بادلته نفس المشاعر بالابتسام او العيون او مشاركته اهتماماته بالشعر والادب

كان عالمه متميزا فهو يعلم الكثير من خلال قراءاته وايضا عنده حلول لكثير من المشاكل التي كانت تواجه امه بالبيت سواء مشاكل صيانه لاي شئ بالبيت او استشارته في مشكله تخص خالته او بناتها او زوج خالته

علاوه علي ذلك كان متميزا بشكله والذي كان يجذب اليه البنات خاصه فهو ذو بشره بيضاء مشربه بالاحمرار وشعره كثيف وناعم وذهبي اللون وقامته ممشوقه اما ماكان يجذبهم اكثر هي رجولته والتي بدأت تظهر ملامحها مبكرا من انبات شعر ذقنه وشاربه وصوته الرخيم

لم تشغله عبارات الاستحسان من معارف والدته ولم يقف امام المراه يوما ليشاهد نفسه كان يري اكتماله في المعرفه والمعرفه عنده كانت الكتب والعمل اليدوي

حتي جاء اليوم الغير متوقع عندما اعادوا ابيهم الي البيت جثه من عمله كانت الصدمه للجميع خاصه هو افتقد الرجل الذي كان يتعامل معه ويزلل صعوبات الحياه واحس ان الدنيا سقطت علي راسه فهو الان اصبح الرجل المسؤل عن امه وشقيقته بعد وفاه الاب اصبح هو رجل البيت ولم يتجاوز عمره السادسه عشر

وبدء يفكر انهم سوف يتركون السكن الخاص بهم في خلال ايام من تاريخ الوفاه للاب

وبدا بالبحث عن سكن مناسب وأيضا باجر مناسب لوضعهم المالي الجديد

وفعلا وجد شقه مناسبه بمعاونه زوج خالته في حي العرب وهو حي يختلف في تركيبته الاجتماعيه عن الحي الذي ولد وتربي فيه وهو حي الافرنج

وجاء يوم نقلهم من سكنهم كان هذا اليوم يعادل فقدهم للاب ويمكن لحياتهم وذكرياتهم

كانت مهمته عسيره علي نفسه فهو يخفف عن امه تركها لبيتها وذكرياتها وأيضا وفاه ابيه ويخفف عن شقيقته يتمها ويحاول ازاله احزانها وأيضا يداري وجعه وحزنه وهو يترك حياته المرفهه وراءه

كان ينظر الي كل ركن في المكان الذي ولد فيه نظره وداع اخيره فهو لن يلقاه ثانيه

كانت العربات التي تحمل الأثاث وتتجه للغرب الي حي العرب وهو يجلس علي العربه بالعكس وكانه يودع حي الشرق الذي ولد وتربي فيه، فقد كانت المدينه مقسومه قسمين يفصلهم شارع كبير يعتبر بمثابه الحد الفاصل مابين الحيين..حي للعرب وحي للأفرنج...حي الافرنج كان يسكن به البشوات والبهوات والاجانب من الجاليات اليونانيه والايطاليه والفرنسيه والانجليزيه والذين كان وجودهم بالمدينه مرتبطا ارتباطا وثيقا بالعمل في قناه السويس. وايضا الفيلات التي بنيت ببورسعيد وبورفؤاد للعاملين بقناه السويس وبعض العائلات الكبيره والتي بنوا عمارات في الحي وكانوا ينتقون سكانها حتي تتلائم مع مكانه السكان بالحي..

ايضا الحدائق الكثيره تزين هذا الحي الراقي والذي نادرا ماتسمع فيه صوتا

اما حي العرب فكان للعامه من العاملين والبائعين وعمال البحر وموظفين الخدمات بالمدينه .

وكان هو يعرف الفرق جيدا مابين سكني الحي الراقي وحي العرب. كان يدرك ان حياتهم من اليوم فقدت كل خصوصيتها وانهم من الان قد تعروا فقد كان سكان حي العرب منفتحين علي بعض .

كان يفكر في كل ذلك وتتبدل مشاعره تجاه اخيه احمد للكراهيه فقد تنكر لهم واجبره علي ترك دراسته والعمل ليصرف علي امه واخته وذلك لان بموت الاب انقطع الدخل الثابت وايضا ماحصلوا عليه من مكافأه لن يغطي مصاريف الاسره اكثر من شهور معدودات.

كانت الام قد ادخرت بعض المال من ماكانت توفره من نفقات البيت.فقد كانت مدبره ونشيطه وقد قسمت حديقه بيتها لاخواض لزراعه الخضر والفاكهه والورود وكان يساعدها الجناييني الخاص بهيئه قناه السويس ويأتيها بالبذور الجيده وايضا يعزز لها التربه الزراعيه بالطمي

وكانت هي ايضا تربي جميع انواع الدواجن من بط واوز وفراخ وترعاهم وكان البيت دائما مستورا لاتحتاج للشراء من الخارج الا الاشياء البسيطه

تفننت في عمل المربات بجميع انواعها وتفوقت في مربي الورد والذي كانت تزرعه وتصنع منه اشهي المربات والتي كان يفتخر زوجها حين

يثني عليها زملائه بالعمل وخاصه الاجانب منهم لانه كان يهاديهم من صنع زوجته

قد قامت بشراء بيت صغير في حي العرب من عده طوابق ايجاره كان المعين مع ماصرف من مكافاه لزوجها..ولحسن الحظ عندما اشترت هذا البيت اصر زوجها وقتها ان يكتب بأسمها..والا كان الابن الكبر والابنه الكبري اصروا ان يباع ليحصلوا علي نصيبهم منه..

نعم كان الايجار التي تحصله من البيت قليل، لكن سوف يكون معينا لهم بجانب عمل ابنها..

وقد تنكر الاعمام والاخ الأكبر لهم بعد وفاه الاب واعلنوا انهم لن يتكفلوا باي مصاريف لان ظروفهم لن تسمح فقد كان الجد والجده قد رحلوا واقتسم الاخوه الميراث بينهم مستبعدين شقيقهم بحجه انه يمتلك وظيفه وان ابيهم كتب لهم كل شئ بيع وشراء وايضا كان الاب قد كتب كل شئ باسم ابناءه مستبعدا ابنه من ممتلكاته بحجه انه يمتلك وظيفه ويحصل علي راتب كبير لكنه اعطي جزء من الميراث للابن الاكبر له فهو من تزوج بابنه العم الأكبر ولم يخرج عن تقاليد العائله

لم يكن امامه الا ترك دراسته والالتحاق بالعمل مكان ابيه بشركه قناه السويس لكن بدون سكن وذلك لصغر سنه ولأنه غير متزوج ، استطاع زميل لوالده في العمل ان يتوسط لينزل الي العمل بدلا عن

والده لكن طبعا بأجر اقل فهو حديث العهد بالعمل ولا يمتلك الخبره التي كان يتمتع بها والده

انتقل بسكنه من الحي الذي تربي فيه وسط الاسر الاجنبيه والعائلات الراقيه الي حي العرب ببنايه يقطنها سكان بعد ان عاش حياه مستقله طيله عمره وكان معظم وقته يقضيه بحديقه منزله الان السكن الجديد عباره عن ثلاث حجرات ورواق كبير ومطبخ وحمام وبلكونه من الخشب ستحتلها الدواجن وتطل علي الجيران ففقد الكثير من الخصوصيه التي كانت تتمتع بها حياته وبخاصه عند زياره شقيقه احمد الاسبوعيه هو وزوجته وابنه الذي انجبه

كانت يد الشقيق الأكبر تعبث في كل مافي البيت وكانه يبحث عن مغنم ممكن ان يحصل عليه

وكانت الام تتابعه خطوه بخطوه خوفا علي أشياء ابنها وحفاظا علي مشاعره وهو الذي ضحي بتعليمه من اجل تحمل مسؤليتها ومسؤليه شقيقته واستكمال تعليمها

كان البيت الذي انتقلوا اليه يقطنه سكان كثيرا ماكانوا يتركون ابوابهم مفتوحه ودائمي الفضول لكل ماهو غريب عنهم

لم يخرج عن عاداته بأن يذهب الي عمله فأذا التقي احد جيرانه علي السلم يلقي السلام مسرعا ويتجه مباشره الي الشارع او الي شقته ولم

يشجع امه او شقيقته علي الاختلاط بهؤلاء الجيران فقد كان يشاهد ويستمع الي خلافاتهم وتناقضاتهم وطبيعه اللغه التي يتحدثون بها والتي تختلف كليا عن لغتهم الراقيه واسلوبهم المختلف

كان امتع الأيام يوم تاتي خالته التي أصبحت تاتي قليلا واحيانا وحدها حتي لاتضغط علي شقيقتها بالمصاريف كان اسعد أيامه عندما تاتي ببناتها وتعاد الأيام المبهجه وتعم الفرحه ارجاء الرواق مابين تسامر ونكات وضحكات وتمتد السهره لوقت متأخر من الليل وينزل لتوصيل خالته وبناتها كان اسعد اوقاته وهو يجاور ابنه خالته عاليه في السير وتلتقي اعينهم وكانها رسائل يتبادلانها باستحياء

سارت الحياه بحلوها ومرها لايعكر صفوها الا حضور شقيقه مره بالاسبوع او حضور شقيقته الكبرى زبيده بابناءها الثلاث لقضاء الاجازه عند أمها كان كل شيء ينقلب ويبدا الصراخ والمشاكل وتتقطع زياره الخاله روحيه عنهم بسبب تواجد زبيده التي كانت تغار من بنات خالتها خاصه في تواجد زوجها وكثيرا ماكانت تجرحهم بكلماتها اللاذعه

كان يوم سفر زبيده بابنائها وزوجها يوما للاستقلال يعيد الي ذهنه يوم زواجها وسفرها ويعيد لذهنه تلك الليله التي قضاها هو واخته في تنظيف البيت وترتيب الحديقه ويبتسم داخله وهو يعيد ترتيب حجرته بعد سفرها وتعاونه شقيقته أيضا في ترتيبها وترتيب البيت

وتذهب جميله الي شقيقتها روحيه لتخبرها برحيل زبيده وان البيت اصبح في استعداد لاستقبالهم بالفرحه والبهجه المعتاده لهم

تحمل برجوله وبهدوء مسؤليه امه واخته وكان يعود من عمله ليستريح ثم يتجه الي محل زوج الخاله ليعمل به بالبيع والشراء وعمل الحسابات الخاصه بالمحلات واحيانا كان يدخل الي المعمل ليتعلم صناعه الحلويات ويتابع صب السكر الأبيض او الملون الشديد الغليان في القوالب الخشبيه وتربط بالدوبار ثم تغمر بالماء لتبرد ويتفكك القالب لتخرج العروسه او الحصان وترص علي الالواح الخشبيه حيث تاتي المرحله الثانيه وهي تركيب المراوح للعرائس وتزيين وجهها وتركيب الاعلام للحصان الحلاوه

كان هذا التوقيت من اشد التوقيتات اجهادا جسديا له وفي نفس الوقت كانت اسعد اوقاته حيث يقضي أطول وقت مع ابنه خالته عاليه التي تعمل بالمعمل مع ابيها فيتحين أي فرصه لرؤيتها او مساعدتها او التحدث معها تلك الايام لم تكن عاديه بل مميزه جدا كان يتامل وجههامبتسما وعينيه تنطق بما ينوء قلبه بحمله من حنين لها .

الحب ينمو بقلبيهما دون ان يصرح أي منهما بمشاعره لكنه دائما يبحث بعينيها عن ذاته التي افتقدها وسط حياته التي امتلات بالصخب والمسئوليه والضجر.

كان يعلم ان التصريح بمشاعره لها يضعه امام مسئوليه الارتباط بها والتقدم لزوج خالته فكان دائما ما يهرب من الكلام معها او تهرب الكلمات منه .

لكنها وحين وضعت يدها بيده وتركتها ليحتضنها وظلت يدها بيديه لايدري اهي لحظات ام عمر من السعاده قد مر عندما انتبه لخالته وهي تناديه مبتسمه ان يناولها لوح العرائس التي انتهوا من زينتها

لحظتها ارتبك ولم يدري ماذا يفعل وهل راته خالته كل ما فعله انه ركض للخارج وقتها كان يتمني ان تبتلعه الارض او يبتلعه حضن حبيبته

مابين الوهم والحقيقه كان يستشعر دفء يديها بين يديه وظل مرتبكا طيله ليلته واليوم التالي حتي ذهب الي خالته وبدا يعمل وقتها ربتت خالته بحنان علي كتفه ليطمئن واتت اليه باللوح ممتلئ بالعرائس والاحصنه مناديه علي البنات ان يكملن عملهمن .

كانت لمسه خالته الحانيه هي ما جعلته يتوازن فهي تقدر مسئولياته وايضا محبته لابنتها

الي ان ينتهي الموسم وتعود البنات الي البيت ويعود هو الي سيرته الاولي ينتظر يوم حضورهم مع خالته الي بيتهم والسهره التي تمتد

لساعه متاخره من الليل ثم ينزل لتوصيلهم وهنا تتجاور خطواتهم في الطريق

وكثيرا ماكانت خالته تغير سيرهم عن الطريق لبيتها قاصده محل الزوج للاطمئنان عليه او لاحضار شئ من المحل وتتعمد تركه مع عاليه لحين الانتهاء من قضاء حاجتها كانت تلك اللحظات القصيره التي يختلسها من الزمن لرؤيه وجهها الصبوح وتبوح العيون بما لم تبح به الكلمات

تلك كانت اللحظات الخاصه بحياته والتي لم يصرح بها حتي لشقيقته المحببه فقد كانت سره الخاص

حتي جاء اليوم الذي حدث فيه واقعه هروب احدي الطالبات مع مدرسها والزواج منه بمدرسه اخته

ثارت العائلات خوفا علي بناتهم وانتشر الخبر سريعا حتي وصل للشقيق الاكبر الذي جاء الي البيت واصدر فرمانه بان اخته لن تذهب الي مدرستها مره اخري

حاول هو اثناءه او مناقشته في قراره لكنه اصر علي قراره ولم تجد الام امامها الا ان تتخذ القرار بعدم ذهاب ابنتها الي المدرسه وبقاءها في البيت لاعدادها للزواج حينما يتقدم لها الزوج المناسب

كانت واقعه اخته هزيمه لحياته تتبع هزيمه موت ابيه وتركه للدراسه وللبيت والحي الذي تربي فيه لم يستطع اخراج اخته من حزنها لضياع مستقبلها واحلامها بالتعلم فقد كانت سنوات قليله تفصلها عن تخرجها من مدرسه المعلمات لتعمل كمدرسه..

وبالرغم من تحمله مسؤليات البيت و لم يتحملها شقيقه الا ان القرارات المصيريه للعائله كان يتخذها شقيقه خوفا منه ومن ثورته علي الام وشقيقته

حاول ان يسري علي اخته ويعوضها عن عدم اكتمال تعليمها بمكتبته من الروايات والاشعار حتي تتواصل مع العالم لكن هذه الواقعه تركت غصه بداخله لم يمحوها الزمن وهي احساسه بالعجزوالضعف وانه لم يستطع مناصره شقيقته والانتصار لتعليمها

كانت حياته تسير بمقدرات وتقف بمحطات لم يكن هو السبب فيها لكنها كانت هزائم لروحه تأخذه لعالم العزله اكثركل ذلك وحبه لابنه خالته ينمو ويزداد بداخله دون ان يصرح به لأي مخلوق حتي شقيقته الاثيره

جاءت زبيده تاركه البلد التي تزوجت بها بعد ان مات زوجها تاركا وراءه ولدان يحملان نفس مرضه ادرك وقتها ان السلام قد انتهي من حياته وبدأت المنغصات واولها ان خالته ستنقطع زياراتها هي وبناتها

او علي الأقل ستأتي وحدها بدونم البنتان بعد ان زوجت الخاله سلمي الابنه الكبرى والتي غادرت الي دمياط مع ابن شريك ابيها .

وكان قد عزم علي مفاتحه زوج خالته في خطبه الابنه الوسطي لكن ظروف موت زوج زبيده وحضورها الي البيت بابنائها وتوليه مسؤليتهم من تربيه ومصروفات اصبح عبئا جديدا يمنع زواجه من حبيبته

وبدأت زبيده في تعكير صفو البيت الهادئ وكانت كلما طلبت طلبا ولا يلبي تدخل في صراخ وعويل وتطيح في أبنائها ضربا وعنفا

فيكون تلبيه رغباتها حتي لو علي حساب البيت هو المنقذ للابناء الصغار الذين مرضوا وانزووا بعيدا عن التعامل مع أحدا خوفا من امهم

وقد ورث الأبناء عن ابيهم المرض "الصدري "مما اثر علي صحتهم مع اضطهاد امهم وتعاملها السئ والذي كان يصل اجيانا الي حرمانهم من المأكل والمشرب وخوفها الدائم من الاقتراب منهم خشيه الاصابه بمرضهم المعدي

فقد عانوا الهزال بسبب المرض الوراثي وأيضا سوء معامله الام التي كانت بقسوتها كأنها تدفعهم للموت

وكأنهم كانوا العائق امامها لاستكمال حياتها بالزواج مره اخري

لم تكتفي بذلك بل امتدت بالتعامل السئ لشقيقتها الأصغر والتي كانت تعطف علي أبنائها وتهتم بهم وبرعايتهم وكثيرا ماكان يصل الامر الي التطاول بالايد عليها

كانت الغيره منها هي الأساس فقد كان يتقدم للاخت خطابا بمراكز ماديه واجتماعيه كبيره وكلما تقدم لشقيتها احد كلما أظهرت عدوانيتها تجاهها اكثروتتأمر مع زوجه شقيقها الأكبر وبنت عمها في الضغط علي احمد الشقيق الأكبر للرفض حتي تقدم للشقيقه الصغري ابن احد الاسر الارستقراطيه والتي تنحدر أصولها من بشوات اتراك وكان المهر الذي سيحصل عليه الأخ الأكبر كبيرا

أيضا فهو سيناسب عائله كبيره فكان لايمكن الرفض وخصوصا مع ترحيب الاعمام

وجد رجلنا نفسه سيحرم من شقيقته بالزواج لكنه فرح أيضا بهذا النسب الذي تستحقه شقيقته وتوأمه وماكان يؤلمه انه سيبقي بالبيت مع زبيده وجها لوجه

انتقلت شقيقته الي فيلتها الفخمه بالبر الثاني ببورفؤاد بعد تأثيثها وكان الأثاث كله قد اتي من إيطاليا وأيضا امتد فرحها لمده سبعه أيام كان كل يوم منها ترتدي فستان عرس مختلف وتزف بالعوالم ويمتلئ البيت

بالمعازيم وكانت هذه الفرصه ظ يلتقي فيها بأبنه خالته التي كانت تأتي لمساعده شقيقته والاعداد لليله زفافها

وقتها استطاع التحدث معها وتعاهدا ان يتزوجا بعد ان تستقر ظروفه وتتزوج شقيقته الكبري او بعد ان يؤمن حياتها وعاهدته حبيبته بالانتظار وخاصه انها اصغر منه بعامان فمازال امامها الوقت للانتظار

تزوجت زينه وخلا البيت من روحه ولم يتبق فيه الا زبيده وابنائها وامه التي تحملت من زبيده القسوه والتطاول ومع ذلك كانت تعطف عليها خاصه بعد ان مات أولادها واحدا تلو الاخر في اقل من عام وكأنهم رفضوا ان تكون حياتهم بؤس مع ام انانيه وقاسيه

وزاد موت أبنائها من حده طبعها ونقمها علي الدنيا التي زوجتها برجل مريض اورث أبنائه المرض

بدأت زبيده في تكرار زياراتها لزينه ببيتها وكانت تري كيف تتمتع شقيقتها الاصغر بكل تلك الرفاهيه التي لم تنعم بها هي فلقد تزوجت من رجل مريض وببلده غريبه وتعرضت لأضطهاد من اهل زوجها والذين كانوا يعاملونها اسوأ معامله ومع احساسها ان زوجها اضعف من ان يدافع عنها او يتصدي لاخوته...

اما شقيقتها فهي تنعم بالرفاهيه وبزوج محب يتمني لها الرضا..وتقوم الخادمات بتلبيه احتياجاتها..

كانت تعود من عند شقيقتها وهي ناقمه وحاقده علي كل الظروف التي وضعتها فيما هي فيه..وكثيرا ماسرحت ورأت نفسها . هي السيده في هذه الفيلا والتي تنعم فيها بالحب والرفاهيه والجميع يدللها ويلبي مطالبها . تلك هي الحياه التي تستحقها تمتمت بينها وبين نفسها عندما استفاقت علي واقعها في حجرتها ببيت امها .

وبدأت تمارس شرها مع شقيقتها والوقيعه بينها وزوجها واهل زوجها حتي احتد الخلاف بين شقيقتها وزوجها وعلي اثره امتدت يد الزوج لتضرب شقيقتها في وجودها والتي انتهزتها فرصه واشعلت الدنيا وارسلت لتأتي بشقيقها الأكبر الذي يقرر طلاق اخته والحصول علي مستحقاتها من زوجها كامله

باءت محاولات الام وزين بالفشل في اصلاح مافعله ابنها وابنتها الكبرى وعادت الأخت الصغري للبيت وهي تحمل خيبه املها في استعاده حياتها مع زوجها وأيضا تحمل ابنها علي كتفها ..ابن العامان...

ثلاث اعوام تحمل فيهم البعد عن شقيقه روحه في مقابل ان تسعد وان تبقي بعيده عن مرمي نيران زبيده فقد كان لايري شقيقته الا في المناسبات سواء اعياد او ولاده

لكنه كان مطمئنا عليها بعيدا عن زبيده التي لم تبتعد لكنها وبكل قوه اقتحمت حياه اختها لتخربها وكانها تنتقم من الدنيا التي حرمتها الزوج والابناء ولم تكتفي بطلاق شقيقتها لكنها ايضا حرمتها وبكل قسوه من ابنها الصغير

فلقد وجد الصغير يد الخاله تتلقفه وتستولي عليه بديلا عن ابناءها الذين فقدتهم

كانت تحرم شقيقتها وبعنف من ماكان يربطها بزوجها الذي احبته وهو ابنها حتي حمله او نومه بحضنها حرمتها منه

كانت الشقيقه الصغري قد اكتمل عمرها التاسعه عشر عندما اتاها عريس يطلب يدها وكان ابنها قد اكمل عامه الثالث وكان هو الامل في عودتها لزوجها مره اخري

لكن الشقيقه الكبري وجدتها الفرصه لابعادها عن البيت والاستيلاء علي ابنها وقطع الطريق عليها لعودتها لزوجها ابو ابنها فذهبت الي الاخ الاكبر بوشايه انهاتخرج من البيت كثيرا وربما لكي تقابل طليقها

وان العار ينتظرهم اذا لم يعجل بزواجها فورا لكي يقطع عليها العوده لزوجها الذي اهانهم وكان يتكبر عليهم

يتدخل الأخ الأكبر وشقيقته ويوافقون علي تزويج البنت من القادم وبالضغط علي الام توافق وتقنع زين بزواج زينه من القادم

وبذلك تقطع زبيده الطريق علي اختها لعودتها لزوجها الذي كانت تمني زبيده نفسها بالزواج منه لتحيا الحياه التي كانت شقيقتها تحياها والتي كانت تتمناها لنفسها

وبالفعل حاولت وتقربت منه بحجه انهاتقابله ليري ابنه لكنه طلب من اخيها الا تاتيه بابنه ليراه وانه عندما يود رؤيته سيراه بمنزل الجده

لم يفكرزين في الزواج لانه ببساطه كان يتحمل كل الأعباء الماديه والمتغيرات التي تطرأ علي الاسره وبسرعه

وقد حاولت الخاله التلميح اكثر من مره امامه بان ابنتها جاءها عريس لكنه كان يتجاهل كلام خالته وكيف يطلب الزواج من ابنتها وهو من يحمل مسؤليه امه واخته

وقد كانت الشقيقه الكبري لا تكف عن مطالبها متعمده ارهاقه ووضعه هو ووالدته امام ضغوط لا يتحملها بشروكأنها كانت تتعمد ارهاقه ماديا والا تترك امامه فرصه للادخار لكي يتزوج

ارسلت لـه حبيبتـه شـقيقتها الصـغري محملـه برسـاله طلبـت منـه سـرعه التقدم لابيها خشيه موافقه ابيها علي تزويجها من اخر

كان رده لشقيقتها :

انـــه لايســـتطيع التقـــدم الان وهـــو لايملـــك شـــيئ ان اســـتطاعت الانتظارسيكون ممتنا اما اذا لم تسطع فهذا قدرهم

امـام صـمته الـذي طـال لـم تجـد الخالـه مفـرا مـن موافقـه زوجهـا علـي تزويج عاليـه والتـي عارضـت بشـده ولكنهـا استسـلمت امـام اصـرار ابيهـا علـي تزويجهـا مـن ابـن شـريكه والـذي فـتح لـه معرضـا للحلويـات بالاسكندريه

غادرت حبيبته المدينـه وذهبـت غربـا الـي الاسـكندريه اما هو فقد احـس بخيبـه الامـل بعـد ان تزوجـت حبيبتـه وغـادرت الـي الاسـكندريه حيث يعمل زوجها وانقطعت اخبارها عنه

دفـن حبـه بقلبـه ولـم يحـدث أحـدا بـه وانـزوي فـي حجرتـه كـان يائسـا بالضروره وبالقدر والاتفاق

لقد حاول ان يبحر معها في مركب واحد تجدف ويجدف علي طرقات الحيـاه فـي كـل الاماكن لكـن يقينـا المجهـول كـان يـدق بابـه بشـده دون نشـــوه مـــن جانبـــه لان جوانبـــه اليمـــه لـــم يتوقعهـــا يومـــا

كان يراها جميله كالقمر تمتد الافاق من حولها مشربه بالامل لكنه كثيرا ماكان يراوده الخوف

اما هي فكانت قويه وتصدر له الاحساس بالقوه ؛ هو الان يبحث عن روحها المرفرفه في المكان وبعيدا عنه ؛ طعم الحزن في الاعماق وروحها تتلاشي بعيدا هناك حيث حياتها الجديده

كان يلهث وراء السعاده التي تمشي معه في تعبه وراحته

تراوده الدهشه والقلق والخوف ؛ مشاعر مختلطه تمتزج داخله عندما تقوده قدماه الي البحر يستشعر ايادي السفله والمتسكعين والاشرار دائما تطارده

فيهرب منها لاماكن الناس الطيبين يتحسس انفاسهم قبل ان تقوده قدماه لشاطئ البحر يمشي علي رماله ويوشوش امواجه ويرسل اليها اشتياقه وينتظر ماسيرسله البحر من رسائلها اليه .

ثم يعود منكسرا الي حجرته يحبس نفسه داخلها فترات وجوده بالبيت ويبتسم ابتسامه المسيح المخلص داخل الايقونه التي يحتفظ بها والتي اهداها اليه يوما صديق لوالده من الاجانب اللذين يعملون بقناه السويس

لم ينسي في كل الاحداث التي مرت ان يذهب كل اسبوع الي مكتب البريد لاستلام خطاب كاتينا والتي كانت الزاد له علي استكمال حياته

فقد كان يروي لها تفاصيل حياته بالخطابات التي يرسلها اليها وكانت هي ترد عليه وتزيده من خبرتها في حل بعض المشكلات التي يواجهها.

حب الحياه هوماكانت تمده كاتينا به من خلال رسائلها فهي محبه للحياه تتأمل وتغني وتحكي وترقص كانت هي بوجودها حياه

وكلما اتت رساله منها وكأنها تستشعر مايمر به فترسل له طاقه جديده علي الاحتمال تدفعه دفعا لمواصله حب الحياه بكل جوانبها

تزوجت اخته للمره الثانيه رجلا من رجال التعليم وقد اطمان للرجل فهو ايضا صاحب تجربه زواج سابقه ويريد الزواج والاستقرار وقد اطمان قلبه للرجل ولطيبته فبارك زواج شقيقته منه واوصاها به خيرا واوصي زوج شقيقته بها خيرا والا يستمع لشقيقته الكبري او يطرح امامها اي مشكله حتي لا تنتهي حياته مع شقيقته مثلما انتهت مع زوجها الاول

انتقلت شقيقته الي نفس الحي الذي ولدت و فيه وتربت ومن مفارقات القدر ان تسكن بنفس الشارع الذي كانوا يسكنون فيه

اصبح هو مسؤلا عن امه وشقيقته الكبرى وابن الشقيقه الصغري وفكر جديا في البحث عن سكن بالقرب من شقيقته حتي يستطيع رؤيتها يوميا

ساعده زوج شقيقته في العثور علي شقه بنفس الشارع وفي عماره تلتصق بالعماره التي يقطنونها وبذلك اصبح يجاور شقيقته وأيضا حتي تكون أمها بجانبها لتضمن عدم تدخل شقيقتها بحياتها مره اخري

واستطاع ان يتواصل مع زوج شقيقته ويحذره من شقيقيه وامكانيه التدخل بحياته والتي تفهم الزوج لهذه التحذيرات وايضا كانت زوجته قد صارحته بكل مامر بها ووعدها بعدم تدخل أي احد بحياتهم وانه لن يسمح بتكرار تجربتها السيئه التي مرت بها فقد احبها الزوج لجمالها وجمال اخلاقها وابتسامتها التي لاتفارق الوجه الجميل فيزيد جماله ويشع نورا من روحها

بعد زواج الاخت الصغري.. قامت الام ببيع البيت الذي كانت تملكه وفي نيتها ان تشتري بيتا صغيرا تكتبه باسم ابنها تعويضا له عن ماتحمله من اعباء بعد وفاه زوجها كانت الام تريد ان تشتري بيتا صغير بحي الافرنج لينتقلون للعيش مره اخري بنفس الحي الذي يعشقه ابنها..ولخوفها من عبث ابنتها الكبري وطمعها فقد وضعت النقود وكانت جنيهات ذهبيه في داخل جوال للارز...

لم تمتد يد الام علي اي مبلغ من النقود سوي مبلغ البدليه الذي دفعته لابنها كي لايذهب الي الجنديه

وكيف كان سيذهب ويتركها بدون معين خاصه وان الاخ الاكبر له ابنها البكري قد سافر بزوجته وابناءه الي الحجاز مع عمه وتركوا المدينه التي تربي وولد بها لكنه رحل حتي بدون وداع امه واشقاءه وانقطعت اخباره عنهم

دخلت الابنه الكبري لحجره الخزين لتاتي ببعض البصل والارز والسمن كي تطهو في غياب والدتها.

قادتها يداها بالصدفه الي جوال الارز المخبأ به تمن البيت..واحست انها وقعت علي كنز....اخذت منه بعض الجنيهات واعادت وضعه كما كان..ولم تأخذ شيئا من الخزين..ودخلت حجرتها ونامت..وعندما عادت الام لم تجد ابنتها اعدت اي طعام وعند سؤالها تعللت بأنها نامت ولم تدري الا عند عوده الام

دخلت الام لغرفه الخزين وجدت كل شئ كما تركته..اطمأن قلبها علي وديعتها...

تكرر الموقف علي مدار الايام التاليه..تخرج الام فتدخل البنت لحجره الخزين وتحصل علي الجنيهات الذهبيه ثم تعيد وضع الاشياء علي ماكانت وتخرج..

حتي جاء اليوم الذي وجدت الام بيتا يليق بأبنها واتفقت عليه ودخلت لتخرج النقود من جوال الارز..فلم تجد الا جنيهات قليله واختفت باقي

النقود ...صرخت الام واتهمت ابنتها الكبري التي ثارت وتطاولت علي الام وادعت انها لم تأخذ شيئا..

استسلمت الام في النهايه للكارثه التي احلت بهم من ضياع المبلغ بالرغم من ادراكها ان ابنتها هي الفاعل الاساسي ..فقد رأت مظاهر التغيير علي ابنتها من شراء مصوغات وفساتين وادوات للمكياج وانها تاتي بالاكل من الخارج وتدخل لحجرتها لتأكله وحدها وضاع حلمها بأن تأتي لابنها ببيتا عوضا عن ما قاساه..وكان الدنيا ايضا تبخل عليه بهذه الامنيه البسيطه والتي كانت علي وشك الحدوث..

اما زبيده فقد اخذت الجنيهات الذهب ووضعتها كامانه لدي احدي صديقاتها وكلما احتاجت الي جزء منها تفتعل خناقات مع امها وتتطالبها باشياء فوق مقدرتها ولعجز الام تخرج زبيده من البيت تاركه امها وتذهب لصديقتها وتاخذ جزء من الفلوس وتبتاع الاشياء التي تريدها وتعود للبيت محمله بالاشياء ومدعيه انها اخذت فلوس من صديقتها

كانت الام تعلم انها تخبئ ماسرقته عند صديقتها لكنها لم تجرؤ علي مواجهتها فهي التهديد الوحيد عندها ان تشعل في نفسها النار او تحاول القفز من البلكونه ونتيجه للصراخ ومحاوله منعها كان الجيران يتجمعون وتبدا هي في الشكوي من امها الظالمه كما الحياه التي ظلمتها فلا تجد الام مفرا من السكوت امام فضائح ابنتها المستمره

ماكان يزعج زبيده ويدفعها للجنون هو ان صديقتها والتي وضعت عندها الجنيهات الذهبيه كأمانه قد استغلت الخلافات بين زبيده وبين امها وانها لن تجرؤ علي اتهامها بالسرقه فقد استولت علي المبلغ واعطته لزوجها ليفتح به مشروعا وقامت بطرد زبيده عندما طالبتها بالمبلغ مدعيه جنونها

كان يهون علي امه وينصحها بعدم التعامل معها الا في اضيق الحدود ويمني نفسه بان يرزقها الله بزوج حتي تنتهي مشاكلها وتبعد عن البيت

احداث كثيره مرت بحياته هزائم متتاليه للروح وهو صامد يتلقي الصفعه تلو الصفعه دون ان يظهر المه لم يكن يخرجه من تلك الحاله الاسفره الي طنطا لزياره السيد البدوي يقضي هناك أسبوعا في رحابه ويذكر مع الذاكرين ويبكي بجانب مقامه ويسر اليه مافي نفسه من الالام وينتهي مولد السيد البدوي فيسافر الي القاهره ليقضي يومان بجوار الحسين ينزل فيهما بلوكانده قريبه من المقام ويتجول في الحي والازهر ويزور مقام السيده ويصلي بمسجد السيده نفيسه ثم يقضي باقي اجازته السنويه في شراء الهدايا .

"عاده ورثها عن ابيه من صغره فقد كان يأخذه سنويا في زياره للسيد البدوي ويذكر معه ويكمل الرحله بزيارته لاال البيت بالقاهره ويعود محملاباللعب والهدايا من حلوي المولد والحمص وحب العزيز"

ويعود لمدينته مره اخري وقد زال هم عام كامل ليبدأ من جديد دوامه العمل والعزله والاستغراق في القراءه او الذهاب للتريض وحيدا علي شاطئ البحر الذي كان يفضل الذهاب له في الشتاء حتي يظل وحيدا يتأمل البحر وفضاء السماء وطائر النورس والطيور المهاجره

او اثناء عمله وهو يعبر القناه لمقر عمله كان يداعب الدولفين ويتامل النوارس ثم يعود للبيت ويعتكف داخل حجرته للقراءه والتامل

وامه تراقبه وتراقب تصرفاته وتحس ان قلبه محطم خاصه بعد ماعرفت من شقيقتها تعلق قلبه بابنتها التي تزوجت وانها انتظرت ان يتقدم لكنه لم يأخذ خطوه جديه مما اضطر زوجها للموافقه علي زواج ابنته

كان هو قد انقطع عن العمل عند زوج خالته بعد ان تزوجت ابنه خالته ولم يشأ ان يذهب اليه مره اخري وقد حاولت خالته معه مرارا عودته لعمله المسائي ولكنه رفض بحجه الإرهاق وأيضا انه ترقي بعمله وزاد راتبه فلا حاجه له بالعمل الإضافي

كان قد قرر ان يعمل ورديات إضافي بالعمل حتي يزيد راتبه وأيضا يستطيع الصرف علي امه وشقيقته الكبرى

انتهز هو فرصه اعلان شركه للبترول عن حاجتها لعاملين ولانه يمتلك اللغه وتنطبق عليه الشروط فقد تقدم ووفق في الحصول علي الوظيفه وبمرتب اكبر.

كانت الام مايشغل تفكيرها هو ابنها وأيضا يشغل تفكير اخته الصغيره التي كانت تزور بيتهم لتختلي باخيها بحجرته وتتحاور معه وتطمئن علي احواله،

وكانت اسعد اوقات حياته حينما يختلي بأخته ويتحاور معها ، كانت الحبيبه والصديقه والتي يسترسل معها بحواراتها التي تشيع البهجه داخل نفسه،

انتقلوا الي البيت الجديد كان بالدور الاخير من بنايه من اربع ادوار وهو لصيق بالبيت التي تسكن اخته فيه

كانت سعادته لاتوصف بالبيت الجديد لاسباب عده منها قربه من اخته المحببه سيتيح له رؤيتها كثيرا وايضا قرب البيت من القنال حيث يركب لمقر عمله وثالثهما ان للبيت فرنده كبيره المساحه ومنها يري البحر بوضوح ويطل علي الحي الذي يحبه من الاعلي وايضاالسماء التي كان يعشق النظر اليها وتامل طيورها وتكوينات السحب والطيور الي تملؤها خاصه في الربيع والخريف

ولان البيت كان يتيح له الخصوصيه التي افتقدها عندما كان يسكن بالحي العربي

هنا هو بالدور الاخير والسطح الكبير للبنايه يتبع شقته ولها ايضا بابان احدهما علي صاله وحجره ودوره مياه ومنها باب يخرج منه الي الفرنده

اما باقي الشقه فكانت حجرتان كبيرتان ورواق كبير ومطبخ وحمام

احس بالاستقلاليه بعض الشئ خاصه في فتره تواجد زبيده بالبيت بعد فقد خصوصيته اثناء سكنه بحي العرب

كانت البنايه التي يسكن بها من اربع ادواركل دور شقه بخلاف شقته التي كانت تقع بالدور الاخير

بالدور الارضي تسكن ام جلال سيده مصريه نزحت مع زوجها من المطريه دقهليه وجاء ليعمل بالبحر يبيع ويشتري للسواح ويطلقون عليه اسم "البمبوطي "

والبمبوطي هو الذي يحمل البضائع ليبيعها للسائحين بالسفن التي ترسو بالمينا

ام جلا ل عندها من الاولاد ثلاث بنتان وولد تعكف علي تربيتهم وتعليمهم والاهتمام بهم وبالرغم من انها سيده بسيطه الا انها كانت نظيفه في هيئتها وبيتها واولادها

اما الدور الاول فكان يسكن به ام عياد وهم اصحاب البيت سيده طيبه من سيدات الطبقه المتوسطه زوجها عم جرس كان يعمل موظفا بالسكك الحديديه اشتري البيت من بيع قطعه ارض ورثها بالصعيد وكان هو من سكان البيت قبل ان يفكر صاحبه في بيعه وعندما عرض البيت للبيع اشتراه المقدس جرس قبل ان يتوفي بشهور قليله وكأنه يريد استمرار ابناءه بعد وفاته بالمدينه

عندها ثلاث ابناء وبنتان وهم اكبر اولاد العماره فقد تخرجوا جميعا من المرحله المتوسطه ويعملون بوظائف ماعدا البنت الصغري صفيه والتي تدرس بالمدرسه النسويه

الدور الثاني وتسكن فيه اسره من الاسر العريقه بالبلد ومن اقدم الاسر التي وفدت الي بورسعيد من الشام وايضا كانوا من اشهر الحلوانيه المتواجدين بالبلد وذاع صيت الخلواني ايضا لان محله امام محطه السكه الحديديه فكان القادم والمسافر من والي بورسعيد يشتري هريسه الحاج عيد

للحاج عيد ابن وابنه الابنه لم تتزوج والابن تزوج وانجب احد عشر ولدا وبنتا

كان الحاج عيد هو صاحب العماره وهو من قام ببنائها وجعل الشقه الوسطي بالبنايه اجزاء

حجره مجهزه بالحمام لـه ولزوجتـه وحجره ايضـا مجهزه لابنتـه وحجره مجهزه ايضا بحمام لابنه وزوجته وباقي الحجرات لهم حمام خاص

وكان للشقه بابان باب لحجره الحاج عيد وحده وباب للشقه الرئيسيه

اما بنت الحاج عيد فكانت شديده الجمال والرقي وكان كلما اتي اباها احدا لخطبتها احست انه دون المستوي فترفضه وظلت ترقض حتي تجاوز عمرها الاربعين وفقدت الامل في ان يتقدم احدا لخطبتها فانزوت بحجرتهابعيدا عن الاختلاط

عكس زوجه اخيها المنفتحه علي الجيران والشارع والاصدقاء بالرغم من انجابها لهذا الكم الهائل من الابناء فقد كانت تترك رعايتهم للجده ولاخت زوجها ومعهم الشغاله

وهي طوال اليوم خارج بيتها لاتعود الا مع اقتراب عوده زوجها من المحل كان ابنائها الاحد عشر ثمانيه ذكور وثلاث فتيات مابين التعليم الابتدائي والاعدادي والثانوي وايضا سن ماقبل الدراسه كانت لاتهتم بهم فهي شديده الجمال ويزيد من جمالها شعرها الناعم الطويل والذي يغطي معظم ظهرها

الشقه الرابعه كانت عائله الاستاذ عبد الفضيل الذي كان موظفا بالمحافظه ومتزوج من ابنه عمه واتوا الي بورسعيد من محافظه اسيوط

وقد تمسكت السيده بعادات الصعيد من اصول وتقاليد وتربيه وايضا لهجتها المحببه

وقد انجبت ثلاث ابناء ذكور وبنتان كانت تحسن تربيتهم جميعا وتعليمهم ونظافتهم

كانت السيده منفتحه علي جيرانها بحدود اما زوجها فلم يتعامل مع جيرانه الا بالقاء التحيه اذا ما قابله احدهم علي السلم اثناء صعوده او هبوطه

سرعان ماتعرفت امه علي الجيران واللذين اصبحوا متواجدين معها ليل ونهار بالشقه او يجتمعون في ليالي الصيف بالفرانده يتناوبون الكلام والضحكات ويستمعون للشامي وهو يدلو برايه في مواضيعهم المختلفه

"الشامي "هذا الاسم اطلقه عليه سكان البيت الجديد نظرا لشكله وهو استحسن الاسم فلم يكن يرد علي احد بالبيت اذا لم يناديه بالشامي وهو يضحك فقد اعتاده ونسي زين

وكثيرا ماكانت اخته تلمح له بموضوع زواجه..وانها اختارت له صديقه لها تريد منه ان يراها

كان يتهرب من الاجابه بالنفي او الموافقه..فمازالت مشاعره مشتعله بحب ابنه خالته لم تغادره بعد

وهو لايستطيع التصريح ، لقد تحمل وحده عبئ حرمانه منها.. ومقابل تضحيته هو الاطمئنان علي امه واخته المفضله والمقربه لنفسه، وايضا رعايه اخته الكبيره وابن اخته من زوجها الاول..

لم يتذمر يوما ولم يشتكي...لكنه كان يرحل دائما للشاطي يستلقي علي رماله ويتأمل السماء وهو يعزف علي الهرمونيكا ويحملها برسائل روحه ويرسلها عبر البحر الي حبيبته. في محاوله للهروب من واقع فرض عليه فرضا وتحمله هو طائعا.

كان البحر والسماء هما ملجأه. وكان يسر مافي نفسه لماء البحر وامواجه..وفي طريق عودته اليومي كانت متعته الوحيده تأمل بيوت المدينه واشكالها ويقف لحظات ليتأمل جدار بنقوشاته او النحت الموجود علي البيبان..كان يدرك ان الحجاره تاريخ انساني وان وراء هذه الجدران الكثير من الحكايا بطعم الزمن..منها حكايا تموج بالسعاده واخري بارده يغلفها الجليد من انسحاب الحب منها..ويتمتم بينه وبين نفسه كاتينا فيستحضرها كيانا يسير معه بدروبه تمسك بيده وبيدها الاخري تشير الي احد الابنيه القديمه قائله له :

انظر تلك الرسومات والزخارف من العصر القوطي وهنابعض الوحدات الاسلاميه دخلت وتشابكت مع الحضاره الاوربيه في هذا المبني . البيوت والحجاره تاريخ وايضا حياه ناس بتعيش بتتولد وتموت وبيظل المبني يحمل تاريخهم

ياااه تعلمت منك الكثير كاتينا انتي حياه تسير علي قدمين .

ـ كان رجلا وغريبا . ، كان يمشي وكانت الوحده دربا من دروبه التي يألفها وتألفه.

كما كان يألف ملامحه جيدا، سار للبعيد البعيد وفي البعيد كان دائما يرنو للأبديه ، كان يسير وتسير الارض من تحت قدميه ، لم تترك اقدامه أثارها علي الطريق ، لكنها كانت تترك أثارها علي ملامحه دون ان يلحظها .كانت الاسئله تكبر بداخله تكبر وتكبر كدوامات تطيح بالسلام الداخلي لنفسه تكبر وتترك داخله علامات الاستفهام وتباعد بينه وبين البشر

ثم يعود الي بيته ليدخل حجرته ويغلق عليه بابها..وفي الكثير من الاوقات ماكان يسترجع ذكرياته مع حبيبته ويستعيد وجهها الملائكي وبسمتها الساحره فيجهش بالبكاء.

لم ينسي لحظه حبه لكنه لم يفتح قلبه ويبوح.فقد كانت هزائمه تتوالي الواحده تلو الاخري وهو صامد ..كان يؤمن ان يوما ما سينتصر في معركه وحيده ولم يكن يعرف ماهي؟..

أخذته الحياه ومسئولياته الاجتماعيه الكثيره ومشاكل عمله عن التفكير لحظه بنفسه. فقد انتهت نفسه حينما زفت حبيبته وغادرته وغادرت المدينه.

لكن الام كانت دائما تفكر وهي المهمومه برجلها الذي يتحمل عبء العائله دون ان ينطق، كثيرا ماتحدثت مع ابنتها الصغري والتي بحكم زواجها انشغلت بعض الشئ لكنها كانت علي تواصل مع الام ومع اخيها..

تعرفت الشقيقه الصغري علي احدي قريبات زوجها..كانت بنت يتيمه الاب..وهي وحيده امها لكن لها اشقاء اكبر منها من ابيها ومعظمهم رجال..كانت البنت هادئه الطباع لكنها مبهجه ودائما ماتشيع البهجه في المكان الذي تتواجد به بخفه دمها ، تقربت منها اخته الصغيره وتوطدت صداقتهما والمحت لها الاخت انها تريدها زوجه لأخيها.

لم تعارض ولكنها رحبت حيث انها رأته بمنزل شقيقته اكثر من مره وكانت تعرف انه اخفق في الارتباط بمن يحب وهي التي وقعت بحبه بينها وبين نفسها..لم تعلن ذلك لكنها لم تخفي فرحها عندما صرحت لها اخته بأنها تتمني ان تكون زوجه لشقيقها.

كان بداخلها يرقص فرحا للدرجه التي قالت:

انا لااريد اي شئ ومتأكده ان امي ستوافق كي تتخلص مني بسبب انني لااتوافق مع زوجها .

ادركت الأخت محبتها لاخيها وخاصه انها تعرف مسئولياته

ومع ذلك هي مرحبه وعلي الفور قرروا ان يضغطوا علي اخيها هي وامها من اجل تزويجه منها.

كانت هي من رأته وهو يزور اخته اما هو لم ينتبه حتي لوجودها ولم يعرف شكلها اصلا..

وحينما ضغطوا عليه قال لهم لن اذهب الي هناك ولن اطلبها للزواج والاكثر لن احضر اي فرح..لو موافقين انا ماعنديش مانع.

اسقط في يد الجميع وامام تمسكه اقترح زوج شقيقته ان يوكله في زواجه منها ويحضر هو الفرح ويأتوه بها الي مكانه وبالفعل عمل التوكيل له وحضر الفرح نيابه عنه وعقد القران..وفي نهايه الحفله احضروها معهم ليدخلوها عليه..

لم يكن يعرف هل ما اقدم عليه هو الصح من موافقته علي الزواج وتوكيل زوج اخته لكنه كان يبغي اراحه امه وتلبيه رغبتها

وايضا محاوله منه لنسيان ابنه خالته واخفاقاته الكثيره .

كان قلبه يخفق بشده كلما اقترب موعد تواجد زوجته بالبيت التساؤلات اثقلت ذهنه ، ماذا سأفعل معها ؟وكيف سأعاملها ؟وما هي صورتي امامها وانا الذي خذلها امام اهلها ؟ولما لم اذهب انا لاحضارها ؟

كانت التساؤلات تكبر ويزداد توتره اكثر عندما تناهي الي سمعه اصوات الزغاريد تلف البيت ويفتح الباب لتدخل منه عروسه ، تنادي عليه امه :

يازين .....

لم يرد، تربت علي كتف عروسه وتتركها بالحجره وتخرج وتغلق الباب خلفها

كان رجلا وغريبا. ٠ لايذكر كيف بدات حكايته لانه راي نفسه وسط الحكايه ٠ لم يسال كيف بدات ٠ كان مشغولا بنهايتها

وجد نفسه وجها لوجه مع زوجه غريبه ادخلوها الي حجرته وهو لايعرفها ولا يعرف كيف ستكون حياته معها ولا كيف سيتصرف معها .

جلست عروسه علي حافه السرير في انتظار أي مبادره منه للتعامل او الكلام ولكنه ظل واجما ينظر الي الأرض ولايتحرك

مر زمن يقارب الساعه كانت العمر كله بالنسبه له لم يعرف وقتها ماذا سيكون بعد ذلك ؟

قامت عروسه من علي السرير واتجهت الي التسريحه وجلست قباله المرايا وقامت بخلع طرحتها واعاده تصفيف شعرها وعندما همت بخلع فستان فرحها اعتدل من جلسته وتوجه مباشره الي السرير وتمدد عليه

معطيا لها ظهره مما سهل عليها المهمه بان احضرت ملابس نومها وقامت بتغيير ملابسها وقامت بوضع ملابسها في الدولاب وكشفت الغطاء عن صينيه الاكل الموجوده علي ترابيزه بمنتصف الحجره فوجدت الاكل كما هو لم يقربه لم يتناول اكل او شرب

قامت من مكانها وذهبت الي السرير وبلمسه حانيه ربتت علي ظهره مناديه إياه باسمه ان يقوم ليشاركها الطعام خاصه انها جائعه ولم تتناول الطعام من الصباح

اعتدل من نومه وقام لينظر لوجهها ملبيا طلبها فتلاقت اعينهم للمره الاولي فلمح ابتسامتها ونظرتها الحانيه فبادلها الابتسام مما شجعها ان تمد يدها له بالسلام

مد يده لها مسلما تاركا يده بين يديها وتحركا تجاه الاكل

جلسا وتناولا الاكل واختلط الاكل بالكلام تبادلو الحوار والضحك ووجدها بابتسامتها المشرقه انسانه طيبه وبشوشه ومحبه ومخترقه للقلب من الوهله الاولي وصدق كلام شقيقته الصغري عن جمال روحها وانها تاسر من يجلس معها بحديثها العذب وابتسامتها التي لاتفارق وجهها

كان الشاهد الوحيد علي تلك الليله صورتها كعروس وهي تحتضن بوكيه الورد وبجانبها كرسي خالي من عريسها وهي ترتدي فستان فرحها والطرحه.

وكلما نظرت للصوره كانت تبتسم وتتذكر انها الليله التي تحققت فيها احلامها.

نعم كانت تحبه وتمني نفسها بالزواج منه وهو لم يلتفت لها ولم يلمح حتي ملامح وجهها لكنها كانت تدرك ان هذا الرجل لها وانه مع مرور الايام ستجتذبه بمعاملتها وحلو معشرها

راهنت الزوجه علي العشره والأيام ليحبها وقد كانت متفهمه له وتعلم انطواءه ولاتعلم أسبابه وكانت تتحمل شقيقته الكبرى التي كثيرا ماكانت تفتعل معها الخلافات

فقد تزوجت بحجرته في نفس البيت مع امه واخته الكبري وابن شقيقته الصغري . احضروا لها حجره نوم وصالون ووضعوهم بحجرته بعد ان جاء النقاش وقام بطلائها باللون الوردي..

ضاقت الحجره عليه وانتقلت اشياءه المحببه لحجره امه وايضا للفرانده الكبيره...

كان يستشعر بالغربه احيانا كثيره في هذه الغرفه وخاصه عند انشغال زوجته بمهام المنزل.. اما حين تدخلها يتبدل هواءها ويأتي الونس بوجودها.

كان يعوض الزوجه حسن معاشرته وأيضا حب امه لها وأيضا صداقه وحب زينه لها

اما هو فكان يدفن ذكرياته وحبه لابنه خالته بقلبه ولايستطيع البوح به فلقد انتهي كل شيء بانجابها لأول بناتها وأيضا بزواجه من انسانه حلوه المعشر تغلب طيبتها وابتسامتها علي فتور مشاعره ناحيتها

يتسامر معها ويتبادلان الضحكات ويخفي خلف الضحكات وجع المشاعر التي تسافر عبر النسمات لتستقر في المتوسط حيث حبيبته علي الجانب الاخر من المالح.

كثيرا ماطالبته زوجته بالسفر للاطمئنان علي ابنه خالته والتعرف علي زوجها وانه رجلهم فهم بنات خالته التي لم تنجب ولدا وتعتبره ولدها. وكثيرا ماكان يتعلل باسباب كثيره الا السبب الوحيد الحقيقي.. وهو خوفه ان يفتضح حبه بمجرد رؤيتها.

كان يسعد بمشاعر زوجته التي كانت تحبه ومستعده للتضحيه بنفسها من اجل اسعاده..احيان كثيره كانت تدفعه لرحلته اليوميه للبحر والتريض واحيان اخري تستدعي صديقاتها وجيرانهم ليجلسن ويتبادلن الحوار معه ويسألونه بمشاكلهم الشخصيه وكانت تسعد باندماجه وخروجه من عزلته.

صارت حياته بنفس النسق مابين عمله ورحلته للتأمل وبين علاقته بشقيقته ومحاوله تفادي الاصطدام بشقيقته الكبري..فكان يحرص علي ترك البيت لفترات طويله يتريض خلالها ويتأمل..حتي جاء يوما خطيبا لشقيقته الكبري رجلا من اعيان الريف..لم يكن يعرف عن طباعها شيئا..اتت به الخاله لها والمدهش انها وافقت وقد دفع لها مهرا ارضا كتبها بأسمها ورصيد من المال لابأس به..نسيت الشقيقه كل شئ حتي ابن اختها الذي تمسكت به تخلت عنه في لحظه فهي ستنتقل للعيش في عزبه زوجها وستكون الكبيره وزوجه كبير الناحيه..

استقرت الامور بعد سفرها وباتت اهدأ..اختفت الخلافات وتيمنا بذلك اخذ اجازته واصطحب زوجته وامه في رحلته السنويه الي طنطا ومنها الي القاهره لزياره اولياء الله وليعوض زوجته قسوه اخته الكبري فانتهزت الزوجه فرصه وجودهم بالقاهره وطلبت منه الذهاب للطبيب للكشف حتي تعرف لما تأخر حملها..

اخذ زوجته وخرج متجها الي كازينو علي النيل وهناك قال لها:

ارجو ان تستوعبي ماسأقوله اذا ذهبنا للطبيب نحن لانعرف من منا هو من عنده مانع. وممكن ان يكون كلانا او واحد مننا هل ستجدي انه من المعقول ان يعلم واحد ان الاخر لاينجب ولا تتغير نفسيته ولو للحظات امام الاخر.

طب لو انتي هتقبلي تعيشي معي..ولو انا هل اكون انانيا حتي احرمك..انا ليست عندي اي رغبه لخوض التجربه انا مكتفي بك زوجه وحبيبه وابنه..

ماكان من الزوجه الا ان بادرته في عدم رغبتها بالذهاب وايضا انها لن تتطرق لهذا الموضوع من قريب او بعيد..تعاهدا علي ذلك بعد ان ادركت الزوجه حكمته وانه بذلك متمسك بالحياه معها .

عادوا الي بورسعيد بعد انتهاء الرحله..وعقد جلسه مع امه وشقيقته وزوجته وحدثهم بما تعاهدوا عليه هو وزوجته وطلب منهم عدم فتح هذا الموضوع الي نهايه عمره وانها اراده الله اذا اراد ان ينجبا سيكون.

لم تعلق الام ولا الاخت فقد احسا انه قراره وقرار زوجته وانه يفضل عدم التحدث فيه.

لم يكن الامر هكذا لكن رجولته آبت ان يصارح زوجته بأنها السبب في عدم الانجاب.

فقد تعرضت زوجته لوعكه صحيه يوما وكانت تشتكي من مغص شديد وقد اتاها بالطبيب الي البيت والذي طلب منهم دخولها المشفي لفتره كي تكون تحت الرعايه والعلاج.

وحينها اكتشف الطبيب ان ماعندها ليس له علاقه بالكلي فاستشار طبيبا للامراض النسائيه والذي قام بالتحليل والفحص واتضح انها لاتنجب بسبب عيب خلقي..

طبعا صارحوا زوجها الذي نبههم الايخبروها وان يخبروها انها قد تعافت من الكلي.وسر الامر بنفسه لم يخبر به احدا

حتي يحفظ كبريائها وقبل لنفسه سعادته معها بدون اولاد معوضا تلك المشاعر الابويه التي كان يفيض بها ابناء شقيقته الصغري والتي انجبت ثلاثه من الابناء الذكور اضافه الي ابنها من زوجها الاول والذي كان يقيم مع الخال والجده وايضا مع امه واخوته الذكور .

ولمره اخري تهزمه الحياه وتلك المره بأرادته.لقد قارن بين ابن يحمل اسمه او زوجه حلوه المعشر..فاختار زوجته علي ان يكون له طفلا يحمل اسمه.

لم يتواني لحظه عن اسعاد زوجه والتي كانت تتوق للانجاب واكثر من مره تلح عليه ان تذهب للطبيب، فبادرها بالسؤال

وماذا لو كنت انا من لديه مانع للانجاب

بادرته مسرعه: لا اظن لكن لو فرض انت عندي بالدنيا

قال لها :طب لو انتي

قالت له: تزوج من تنجب لك

فقال لها: انا كده مكتفي بك وانت اكتفيت بي ، ولو اراد الله سيحدث اما اذا لم يرد فما بيدينا شئ، اتركي الامرلله...

وقد تعهدت له الا تذهب الي اي طبيب وهو ايضا..

لم يكن يتألم من داخله الا بسبب نظرتها لأي أمرأه حامل او طفل ينادي علي امه..غير ذلك احب عشرتها واحب وجودها بحياته..

سارت الحياه حتي احست شقيقته بانها حامل للمره الرابعه وقد كانت تشتكي من انها لم تكن تريد اطفال لكنها اراده الله نظر الي اخته مليا وقال لها :

اي طلبات تحتاجينها للولاده او للاولاد انا كفيل بها لاتحملي هما وزوجتي معك معينا لكي علي اي طلبات للبيت

بادرت زوجه بالتعقيب :

كل ماتحتاجينه من مساعده انا معكي فيه لاتحملي هم هما ولادنا زي ماهما ولادك

ابتسم وهو ينظر لزوجته الطيبه السمحه واحس ان الله عوضه بها عن كل مامر ويمر به كانت نظره امتنان ومحبه

وحين وضعت اخته مولوده بنتا...

قرر ان يسميها هو وفعلا اسماها عاليه بأسم حبيبته ...لم تعترض الاخت وقد تعهد لزوج شقيقته ان يربي هو البنت ويتكفل بكل احتياجاتها.

فرحت زوجته جدا واعتبرتها ابنتها حملتها بين يديها وقامت بتدليلها وتدربت علي الامومه من خلال الطفله هذه القطعه من اللحم الاحمر

احتفل بقدوم ابنه اخته كما لم يحتفل في حياته واحس ان القدر اهداه في تلك الليله هديته الكبيره فكل احلامه سيهديها لهذه الطفله وكل ابوته سيمنحها لها

توافق يوم سبوع عا ليه مع احتفالات اعياد ثوره يوليو وكان هو يتجول بشوارع المدينه حاملا الفول السوداني والملبس الحمص وزوجته معه تحمل القله المزدانه وملابس الطفله وايضا هديته لها من الذهب اشتراها لها كي تلبسها الصغيره في يوم سبوعها

عادوا والشوارع تحتفل والسماء تنير بالالعاب الناريه ليجد شقيقته قد صعدت مع امها والطفله الي شقته لتحتفل بسبوع ابنتها في شقته اما هو فقد قام با لطرق في صعوده علي كل الشقق في العماره ودعاهم للصعود والاحتفال واجتمع الجميع لملئ اكياس السبوع للاطفال وتوزيعها علي الاطفال وتوزيع الشموع وحمل هو الطفله ووسط

البخور والملح المرشوش والشموع التي ولعت بايدي الاطفال قاد هو المسيره عبر السلم نزولا وهو يحمل الطفله ويتقدمه اطفال اخته والجيران وزغاريد الجارات ورش الملح واطلاق البخور ورقص الجارات امتدت سهرتهم واحتفالهم حتي الساعات الاولي من اليوم التالي

كانت ليلته التي احس فيها فعلا بالابوه قضي الليله تكسو وجهه الفرحه وهو يحتضن الصغيره ويشجع البنات الصغيرات من ابناء الجيران علي الرقص والغناء والضحك كان لوقع الليله في نفسه اثر كبير خرج فيها من نفسه وتحرر من الحزن المقيم بروحه وضحك كما لم يضحك في حياته

لمح ذلك في نظره الرضا التي تطل من عيني امه

ليلتها دخل الي الفرنده واستلقي علي الارض واخذ الهرمونيكا وظل يعزف لحنا مبهجا حتي اختفي الصوت وذاب مع نومه . جاءه هاتف بمنامه انه لابد ان يعبر لامه عن امتنانه وحبه لها قام من نومه مع ضوء النهار يتسلل الي عيونه فتح عيونه وابتسم عندما لمح الطيور بالسماء واسترجع حلمه وابتسامه وجه امه وعيونها الزرقاء زرقه السماء الصافيه بنهار اليوم وهو عازما علي امر اسره بينه وبين نفسه وجد امه وقد استيقظت مبكرا كعادتها وقامت بترتيب البيت بعد ليله الامس وحضرت الافطار واطعمت الدجاج الذي كان يملا سطح البيت ثم جلست تسبح بعد صلاتها للصبح

صبح عليها مبتسما وقبل راسها وهو يدعي لها بطول العمر

قبلت الام راسه مبتسمه ولمعت عيونها الزرقاء فرحه ودعته للافطار وكانت زوجته قد قامت بتحضير الشاي وانضمت لهم للافطار تعلو وجهها الابتسامه بعد ليله الامس والتي كانت فرحه حقيقيه

بادرته زوجته بالسؤال عن سب نومه بالفرانده وانهم تركوه خوفا من ايقاظه لعله ارهاق اليوم

رد عليها بانها السعاده هي ما دفعته لذلك فهو احب ان يري السماء اول ما يفتح عينيه

ابتسمت الام وقالت لها :

هو من صغره عندما كان يفرح كان ينام بالجنينه عشان يشوف السما اول ما يصحي

عاده ورثها عن ابوه صحيح "اللي خلف ماماتش " ابتسم وقام لامه مقبلا يدها وداعيا لها بالعمر الطويل واتجه الي حجرته

بعد ان تناول افطاره وارتدي ملابسه مسرعا فتسائلت الا م :

الي اين يذهب الان ؟

وخاصه انه اجازه فاخبرها :

انه سينزل ليصبح علي ابنته التي تركها عند اخته حتي تطعمها

ضحكت الام وقالت :

له ربنا يخليها لك بس بنتك طالعه وحشه عاد الي الام غاضبا وقال لها:

"بنت الشامي "ستكون شاميه والشامي مش وحش فلازم بنته تبقي اجمل البنات

ترك امه وهي تضحك هي وزوجته واغلق الباب ونزل الي اخته التي ماان طرق باب شقتها حتي علمت بانه هو فتحت مبتسمه ومرحبه لم يهتم باخته بل القي التحيه سريعا ودخل الي حيث تنام الصغيره قبلها وحملها وجلس حتي اتت اخته وهي تضحك وتقول له :

خلاص انا اتنسيت تسيبني وتجري لبنتك

ابتسم وقال لها :

معزتك بقلبي تزداد كل يوم انما بنتي حاجه تانيه وانا جايب لها هديتها من امبارح نزلت البسها لها

واخرج من جيبه سلسله ذهبيه ساعدته اخته علي وضعها في صدر ابنتها وهو يقبلها ويغدق عليها بالامنيات

طلب من اخته فنجان قهوته جاءته اخته بالقهوه وجلس والطفله بحضنه يحتسي قهوته واخبرها بمنامه الذي راه بالليل ونظره الرضا التي لمحها بعيون امهما واخبرها انه العام القادم سوف يسفر امه الي الحجاز لكي تحج

ابتهل وجه اخته فرحا وقالت له :

هل ستتصل باخينا احمد ليستقبلها هناك؟

رقض الفكره وقال لها :

لا السفريه كلها العام القادم علي حسابي انا

ظل الايام التاليه يتابع عمله وابنه اخته وايضا يتابع الاخبار وخاصه انه بعد ايام قليله من سبوع الطفله تاممت قناه السويس كان يتابع الاخبار ويعلم مدي الهجوم علي مصر وان هناك مؤامره لامحاله

كان يستشعر اقتراب الخطر، وكما توقع مرت شهور قليله وقام العدوان الثلاثي علي المدينه..حمل هو الطفله واعد احتياجاتها من اليانسون والكراويه والتي كان يضع زجاجاتهم في جيبه..ويهرب الي المخابئ ليحمي طفلته وايضا يحمي ابناء اخته..كانوا يسيرون في الشوارع بحثا عن مكان امن يحمي فيه الام والاخت والابناء..وايضا يطمئن علي زوجته تمهيدا لتركهم للانضمام لصفوف المقاومه الشعبيه..كانت

مسؤليته تامين السلاح والعتاد للمقاومه الشعبيه هو وزملاءه بالعمل وايضا تامين الغذاء ومياه الشرب واخفاء الجنود الاجانب واللذين كانوا اسري من قبل المقاومه

لم يبدو عليه اي علامه من علامات اشتراكه بالمقاومه امام عائلته فقد كان يبرر اوقات غيابه بانه يبحث عن طعام او يامن الماء اللازم للشرب وايضا يؤمن الجيران الذين لم يتمكنوا من الهجره

حاول ان يهجر اسرته عن طريق بحيره المنزله الي المنزله او المطريه لكن المحاوله فشلت فشلا ذريعا لان قوات الاحتلال عسكروا علي شاطئ البحيره وكل من كان يقترب كانوا يطلقوا النار عليه ليردوه قتيلا

ايضا كوبري الرسوه والذي كان خط القطار قد دمروه وبذلك قطعت المواصلات عن اهل البلد وقطعت سبل العيش من اكل ولوازم ضروريه للحياه

تجمعت اسرته وايضا جيرانهم بشقه اخته والتي كانت بالدور الارضي تعد مخبا وكان للشقه منورين كبار كان الاولاد يستخدمونهم للعب اوقات السلم اما الان فقد وظفهم هو لاخفاء السلاح والجنود بعد ان ادخل كميه من الرمال المعبا في جوالات بحجه انه لو نزلت في المنور قذيفه ممكن تولع البيت انما الرمل يمنع ذلك ايضا كان المخباء السري بالمنزل الذي يقطن به في منور البيت والذي هاجرت ام جلال جارته

وتركت شقتهم في عهدته قام باعداد المنور لاسقبال الاسري من الجنود الاجانب الانجليز والفرانسويه ويتواجد معهم حرس من المصريين وايضا كان المكان مخصص كمخباء للذخيره والسلاح والطعام

وكان الطعام الوحيد والذي يستطيع الحصول عليه هو ثمار البطاطس والتي كان يحضر منها جوالات مملؤه حتي يؤمن غذاء الاولاد وايضا رجال المقاومه الشعبيه فقد انقطعت الامدادات عن المدينه بعد ضرب منافذ الدخول لها واصبح تأمين الغذاء هو المعين علي الحياه

حتي جاء اليوم الذي اقتحمت قوات الاحتلال بيت اخته للبحث عن فدائيين او اسلحه وقفت الاسره باكملها حتي ينتهي التفتيش كان هويعلم ما خفي عنهم وكان وقتها يحمل ابنه اخته ا لرضيعه فقام بقرصها بشده انطلقت البنت صارخه مما اخذ انتباه ا لجنود الاجانب والذي تحدث معهم بان احساسها بالخوف هو الذي دفعها للصراخ

اتي كبيرهم اليه وربت علي الطفله التي كانت مازالت تصرخ بشده فامر جنوده بالتحرك للخارج واخرج من جيبه بسكويت وشيكولاته اعطاهما للطفله امسكهم الخال وشكره مودعا اياه للخارج وهو يحمل الطفله وسط اندهاش اهله من تصرفه ورفضهم له

عاد من الخارج بعد ان اطمئن علي رحيلهم وسط استياء عائلته والتي همت اختـه باخذ ابنتها من يده وهو يضحك ضحك هستيري وكلما ضحك كلما زاد استيائهم

بعد انتهاء نوبته الهستيريه من الضحك اخبرهم ما فعله ولما وانه قام بقرص البنت لكي تصرخ وانها كانت سببا في انقاذ الاسره وايضا رجال المقاومه

بعد انتهاء دهشه الاسره ومناقشه مصير الرجال المتواجدين في منور الشقه وحسم الموضوع بانهم سينتقلون الي محل حلاقه في الشارع سيستخدمونه كمخبأوسيتركون البيت حيث انه اصبح اكثر امنا للفدائيين بعد تفتيشه بعدها انتابتهم هستيريا الضحك وخاصه عندما راؤو منظرجسم الصغيره وعلامات القرص به

وجد الرجل نفسه عندما واجه جحافل المعتدين مع ابناء بلده

كان يردد دائما بينه وبين نفسه والزهو يملؤه

(اهلا بالقسوه كلها منكم اهل الشر ؛ لم اعد وحدي ؛صار لي الف ذراع ؛ ومائه حذاء في كل قدم ؛ لقد عشت التجربه ؛ ابعد عن ذاكرتي ذلك العالم العفن والذكريات العفنه ؛ ذاب وجودي في وجود معني اجمل واعمق من وجودي ؛ انه وطني الذي يحتضني ويحتويني)

كانت مقاومته مع المصريين ف القنال وتحمله مسئوليه حمايه السلاح مؤشر جديد لشخصيته والتغيرات التي طرات عليها فبدا الاهتمام اكثر بالشان العام والسياسه انفتحت نفسه علي علاقات جديده واهتمامات جديده واصدقاء جدد مع اختلاف تعامل اسرته معه بعد العدوان فلقد كانت مشاركته في نظرهم بطوله خاصه مافعله مع ابناء اخته وزوجها اثناء العدوان

كان زوج الاخت مسئولا ماليا وكان بعهدته اموالا تخص مرتبات العاملين بمكان العمل مبلغ كبير من المال يتجاوز العشرين الف جنيه وقد كان مقر عمله في منطقه انهدم فيها معظم المباني بفعل القصف بالطائرات

كان زوج الاخت يخشي ان يصاب المبني باذي ويتدمر او يحترق وتضيع المستندات والنقود وهي عهدته وكان يعلم اهميتها

طمان زوج شقيقته وطلب منه الذهاب الي مقر عمله لياتي بالمستندات وبالنفود

طلب زوج اخته الذهاب معه لكنه رفض بحجه انه لابد من وجود رجل مع العائله والاولاد وانه سبذهب ويعود سريعا

اخذ المفاتيح من زوج اخته وذهب الي مقر عمله واتي بجميع الاموال والاوراق وبمجرد تركه للمكان نزلت قذيفه علي المكان دمرته بالكامل

ظل المبلغ والمستندات معه وفي امانته هو وحده من يعلم مكانها حتي انتهت الحرب وعادت الحياه للمدينه

اتي بالامانه لزوج اخته وذهبا سويا لتسليم الامانه الي المسؤلين

ظلت واقعه النقود والمستندات تتداول في البلد الصغير باعجاب وخاصه ان المبني تدمر بالكامل وكان من الممكن الا يعلم احد عن هذه المستندات

اكتسب بعد هذه الواقعه ثقه اناس كثيره وثقه المسؤلين وترقي بعمله وتغيرت الاحوال الماديه للاحسن وخاصه انه اجتهد كثيرا بعمله

لكنه وفي اوقا ت الشتاء وعندما يجوب شوارع المدينه ياتيه وجهها مره ثانيه ليحرك الذكريات

فيبحث عنها بوجوه البشر الطيبين ويعود الي بيته ليسكن الي زوجته الطيبه والتي تسري عنه

في وسط دوامات الحياه واهتماته بالشان العام وابنته لم ينسي ان ينهي اجراءات سفر امه الي الحج وقام بتسفيرها الي الحجز لتؤدي الحج وعند ذلك احس بانه يستحق نظره الرضا التي لمحها في عين امه ليله سبوع ابنته

انتهت الحرب وانقطعت خطابات كاتينا لم يساوره شك انها ليست بخير ولكنه كان يعلم ان انقطاع الخطابات ناتج عن الحرب ، مرت شهور وهو لم يفقد الامل ابدا كل اسبوع يذهب الي مكتب البريد ليسأل ودائما الاجابه بالنفي كان هو يراسلها دائما وقد ارسل لها صورا كثيره له ولزوجته ولابنه شقيقته وينتظر ان يأتيه الرد لكن الرد لا يأتي .

كبرت الطفله واصبحت تسير بخطواتها الاولي عندها اصبحت حبيبته وابنته وصديقته الوحيده التي كانت تشاركه بكل اهتماماته من رحلاته في حواري المدينه ووسط ناسها الطيبين ثم الذهاب الي شاطئ البحر والنوم علي رماله ومتابعه النورس يحلق بالسماء والعزف علي الهارمونيكا ثم النزول للماء للاغتسال والتطهر

كانت تسمع حكاياته التي يرويها والتي لايرويها اصبحت عمره القادم والذي ولي مع نغماته الاثيره

وسط كل ذلك كان الشامي ياخذ ابناء جيرانه ساعه العصريه ويجلس بهم في سطوح البيت بعد ان ينظف جيدا ويفرش بالحصير ويجلس معهم ليستمع الي مشاكلهم ويتابع مذاكرتهم ويعلمهم الحرف اليدويه والتي كان بارعا فيها وايضا يعلمهم عزف الهارمونيكا والتي صاروا جميعا محبين لها وللموسيقي

ولم يكن يسمح لاحد منهم ان يقاطع او يخاصم احدا علمهم المحبه والتي سادت بين اطفال العماره فكانوا كلهم ابناء رجل واحد هو الشامي

بعد ذلك كان يقوم للجزء المخصص لتربيه الطيور ليجلس امامهم وهو يشرب قهوته والسجاير ويحدثهم كلا باسمه الذي اطلقه عليه وكانت الاسماء كلها لابناءه فيما عدا فرخ وحيد كان يطلق عليه الشامي وغالبا كان الشامي من النوع الشركسي الذي كان يعتني به اعتناء خاص ويخرجه ليتجول باركان السطح والشقه كان له التميز حتي في الاكل كان ياكل كل شئ من اكل البيت واكل الدواجن كان الاطفال ايضا يهتمون اهتماما خاصا بالشامي ويدللونه ويسعدون جدا عندما ينادونه مجردا بدون ان تسبقه كلمه خالو

كان الشامي الصندوق الاسود لاسرار جيرانه تاتيه الجاره لتشكي له مشاكلها مع زوجها او اولادها او حماتها او ضيق المعيشه

وكان دائما الحل عنده والاقتناع برايه هو السائد كان يستشعر السعاده عندما يجري اي طفل من اطفال العماره طالبا الحمايه او النجده من عقاب يطاله من ابيه

والغريب ان الاب الذي كان ثائرا يهدئ ويضحك عندما يجد ابنه بحضن الشامي ويتراجع عن الغضب والثوره ويحكي مافعله الولد

كان الشامي دائما الحكم ويقوم الولد بالاعتذار للاب ويتعهد بعدم تكرار الخطا مره اخري .

اسعد اوقات الشامي كانت عندما يتجمع اطفال العماره بسطوح البيت وكل منهم يحمل القماش والقش والملابس القديمه ليصنع دميه الاحتفال بليله شم النسيم والتي سيحرقونها في تلك الليله تعبيرا عن رفضهم للاحتلال كان يقترح عليهم اسم الشخصيه ويجتهد في ان تكون الدميه بحجم مبالغ فيه كي تكون اكبر من دمي الشوارع الاخري

ويبدا الاطفال بجلب القش ونشاره الاخشاب حتي يحشو بها الدميه ويسهر معهم ليله شم النسيم واقامه الزفه للدميه ثم يقذفونها في النار التي اشعلوها مسبقا من اقفاص الفواكه والخضروات وبقايا الكاوتش القديم

تمتد السهره لساعات الصباح علي اغاني السمسميه والضمه حتي قبل طلوع الشمس تجتمع الاسر جميعا ويتوجهون الي البحر كي يشاهدوا ظهور او ضوء للشمس وينزلوا الي البحر كي يرموا باوجاع عام وبدايه عام

النسوه محملات بالبيض الملون والفطائر والخس والترمس ويتخاطف الاولاد الاكل ويتخاطف هو معهم ومنهم وتتبادل الضحكات التي تخرج

من القلب طارده هموم عام واستقبال الربيع، وحين يجهد كان يلجأ للجلوس وتأمل البحر وكثيرا ماكانوا يضبطوه نائما ومتلبسا بالابتسام

يفيق علي صوت امه تناديه ليتغذي فقد سهرت النساء ليلتها وقسموا انفسهم مابين واحده تتولي سلق البيض وتلوينه والاخري لصناعه الفطائر المزينه بالبيض واخري تطهو صواني المكرونه واخري تصنع المحشي اما امه فتتولي عمل الدواجن من تربيتها وهم جميعا يتناولون وجباتهم معا يقوم من نومه ويتناول غذاءه ويقوم ليلعب الكره مع الصبيان ثم يأخذ البنات في جوله علي الشاطئ ويأخذ معهن الصور التذكاريه وبعد العصر ينتهي يوم شم النسيم ليعود الي منزله لينام نوما عميقا سعيدا بكل الضحكات التي خرجت من قلب الجميع

سارت حياته من الاحسن للاحسن فهو حوله اولاده وزوجه الطيبه وشقيقته المحبه وامه الحنونه والراضيه عنه وايضا هو يهيئ نفسه ويعدها لدور سياسي يشارك فيه في الحياه العامه

فكان يقرا كثيرا ويتحمس كثيرا لثوره يوليو وخاصه للدور الفعال والاجتماعي بحياه البسطاء من العمال وخاصه انه كان له دورا بارزا في الحياه النقابيه وكان دائما نصيرا للعمال لانه واحدا منهم

هو نفسه اثرت قرارات يوليو الاشتراكيه علي دخله وعدد ساعات العمل بالنسبه له وايضا قانون التامين والذي منح امه معاشا من هيئه قناه

السويس بعد ان قررت الدوله عمل معاشات لمن خرجوا علي المعاش او عائلاتهم حتي تؤمن لهم حياه كريمه

اصبح يعيش يشكل اكثر امانا بعد زياده دخله واستقرار اوضاعه وايضا كان الابن الاكبر لاخته قد انهي المرحله الثانويه ورفض دخول الجامعه وفضل العمل الوظيفي

بعد محاولات من امه وزوجها ان يدخل الجامعه وايضا تحمس الخال للفكره وانه سيوفر له كل احتياجاته لكنه رفض واصر علي الوظيفه وامام اصراره توظف في جهه حكوميه اصبحت الحياه اخف وطاه وايسر وكانت الام تمسك مصروف البيت وتتولي الانفاق وهي من تقوم بالشراء والتوفير وعادت مره اخري ايام الرفاهيه

وجاءت الانتخابات لعضويه الاتحاد الاشتراكي تقدم للترشح ووجد الجميع يقف معه ويؤازره والكل يتذكر الدور الذي قام به في العدوان الثلاثي والجميع يتحدث عن امانته في الاحتفاظ بالمستندات والاموال خاصه عمل زوج شقيقته وقفت البلد وراءه وايضا جيرانه وزملاءه بالعمل وكل العاملين بالمؤسسه الحكوميه التي يعمل بها زوج اخته

وقد حصل علي اعلي الاصوات ونجح بانتخابات الاتحاد الاشتراكي

وبدا له دورا سياسيا واتسعت حركته وخاصه سفرياته للقاهره للمشاركه في المؤتمرات والاجتماعات المركزيه للاتحاد الاشتراكي

كان ايمانه بدوره ينعكس علي سلوكه في حل الكثير من المشكلات والعوائق التي تمر بها بلده

عاش حياه عامه جديده وبجانبها حياه خاصه مستقره لكن نفسه لم تهدأ ولم يستشعر الراحه الداخليه ابدا

كان دائما مهموما بالمحيطين به وبجيرانه خاصه الدور الثالث والذي انحدرت بهم الحال حتي وصل بهم للفقر المدقع بسبب كثره الابناء والاهمال الذي كانت تتمتع به زوجه الابن

باعوا محلات الحلويات واصبح الرجل يبيع علي منضده امام السكه الحديد

ساءت الاحوال بسرعه واضطروا لاخراج معظم الاولاد من المدارس لكي يعملوا في المحلات

كان مهموما بهم وحاول جاهدا الوقوف بجوار البنت الكبري والولد الاكبر لانهم كانوا قد وصلوا لنهايات مرحلتهم التعليميه

ايضا كان يمدهم بالمواد التموينيه والغذاء عن طريق امه بدون ان يعلم احدا من الجيران

كان يحلم دائما بالعالم الاسعد لكنه كان يستشعر ضغط الحياه علي البشر وكان يحمد الله كثيرا علي نعمه عدم الانجاب وهو ينظر الي ضغوط الحياه علي تلك الاسر كبيره العدد

كان دائما يقول لزوجته :

ان الحياه لاتعطي كل شئ ونحن اعطتنا الامان

كان الرضي دائما هو سلوكه تجاه الحياه والبشر لكنه عندما يخلو لنفسه كان طيفها هو ماينغص عليه حياته كان حبها يسري بدمه وهو يتخيلها زوجه وام وكيف اصبحت وكيف تحيا وهل تفكر فيه وتحمله بين ضلوعها كما يحملها هو وهل تغيرت ملامحها وماذا فعل الزمن بها

فهو كان يتحاشي ان تصله اخبارها حتي مع زياره خالته لهم او زيارته هو وزوجته لخالته كان دائما يتحاشي سيرتها وكانت الخاله ايضا لاتذكرها ولاتذكر اخبارها امامه

وفي نفس الوقت كان ضميره يؤنبه كلما فكر في حبيبته بسبب زوجته فهي المحبه الصبوره الخدومه لامه ولاخته المحببه لكنه يراجع نفسه بانه لاياخذ شيئا من حقها لكنه يسعد عندما يعيش لحظات مع ماضيه وذكرياته

كانت الايام تمر وهو يمر معها سريعا مابين التزاماته لاسرته او لجيرانه او لبلده

واسعد اوقاته ان يذهب هناك حيث البحر الواسع والوحده يجلس علي الرمل مع ابنته متاملا تتابع امواجه وخياله دائما هناك علي الجانب الغربي من الشاطئ يتخيلها تجلس ايضا تتسمع لوشوشات امواج البحر وترد عليها رسائل ترسله له فتاتيه الوشوشات مع الريح الغربي تحمل صورتها وضحكتها وترمي عليه بالسلام ، كلما جلس الي البحر ايضا تذكر امه الثانيه ويعود الحزن لقلبه ويأخذ نفسه في طريق عودته ليمر علي مكتب البريد والذي يخبره بالنفي دائما

هو يريد ان يفي وعده معها ان يرسل اليها زهره جوريه في المتوسط لكنه لايعرف هل هي غادرت ام مازالت علي قيد الحياه ودائما يعود الي الكارت الذي تركته له وهو طفلا صغير مع صندوق الكتب ويقرأ الحكايا هي مجرد حكايا

تمتلئ عيناه بالدموع ويعاود الابتسام مناديا ابنه اخته باسم حبيبته فيحمله الريح صدي يتردد في الفضاء فيبتسم لعل الرياح تحمل صوته ويتردد صداه باسمها فتسمعه وهي جالسه امام البحر

الحياه دائما كانت تقف حائلا بينه وبين الاكتمال سواء اكتمال فرحته او احساسه بالامان حيث عادت زبيده من البلده التي تزوجت بها بعد

موت زوجها الكبير في السن وفي مركز عائلته فهو كبير العائله التي اصغر ابناءها اكبر من زبيده نفسها

عادت ترتدي الاسود ومعها اكثر من عشر رجال يحملون لها اشياءها ويقبلون يديها وهي زوجه كبيرهم ويتعهدون برعايه ارضها وبانهم سياتون لها مرتان بالعام لاحضار فلوس بيع المحصول وايضا لاحضار احتياجاتها من المحاصيل

وبدات الخلافات تدب بين زبيده وزوجه اخيها وايضا بينها وبين شقيقتها الصغري والتي منعت نفسها من الصعود لشقه اخيها حتي لا تصطدم بزبيده

كانت زبيده قد تعودت منذ زواجها واستقرارها بالارياف ان تعامل معامله الكبيره والجميع يخدمها وقد جاءت لتفرض ذلك علي الجميع ومن يرفض لاينااله الا سلاطه لسانها

مما اضطر زوجه اخيها ان تحبس نفسها بحجرتها وترفض الخروج منها حتي عوده زوجها

لم يعجب الحال زبيده التي قررت انها لن تخضع لهذا الوضع فبحثت عن شقه ا ستاجرتها وقررت الانفصال عن بيت اخيها وامام الضغط علي امها اخذت الام معها وايضا ابن اختها لكي يكون معها وامها

رجلا مع السماح لامها بزياره ابنها او ابنتها اما هي فلن تسمح لاحد بزيارتها

وهكذا ولاول مره منذ ولادته يفارق امه وهي التي كان يفتح عينيه صباحا علي صوت دعواتها له في صلاتها

وكيف ستسير حياته الايام القادمه بدون تواجدها

كانت الام تعلم مايخفي ابنها بصدره لكنها ايضا لاتسطيع ان تترك زبيده وحدها تؤجر شقه وتسكنها وحدها حتي لو معها ابن شقيقتها فكانت تنام بالبيت مع زبيده وفي الصباح الباكر تتوجه الي شقه ابنها كي تتناول افطارها معه وتودعه لعمله ثم تعود للبيت وفي المساء تتوجه ثانيه لبيته لتستقبله عائدا من عمله وتاكل معه ثم تتركه كي تذهب لتنام

اثناء عودته من عمله مر علي مكتب البريد الذي قاطعه لشهور وهو يعلم الرد مقدما لكن هذه المره كان هناك رساله منها فرحا ومبتهجا تناول الرساله من الموظف وعلي اقرب كرسي بحديقه عامه جلس ليقرأ

كانت هي بعد كل هذه السنوات مازالت كاتينا بخير ورسالتها دعوه للفرح ومحمله بقبلاتها وامانيها وختمت الرساله ب ماما كاتينا

هلل فرحا انها تحيا وهو يطوي الرساله ليعيد وضعها في الظرف اندهش لان ظهر الخطاب عليه كلام قلبه ليقرأ كان فيكتوريبلغه فيه بأنها غادرت وتلك اخر رساله كتبتها ولم تسطع ارسالها وانها اوصته ان يرسلها وان يدعوه لعدم الحزن وينفذ وصيتها

ابتلع حزنه وقام الي اقرب محل للزهور واشتري صحبه من الورد الجوري وذهب الي البحر الذي كان خاليا من البشر فقد كان اواخر الشتاء . كانت الشمس قد اوشكت علي المغيب نادي باعلي صوته عليها وابتسم وهو يقذف لها بالورد وشاهدها تبتسم وتتلقفه ووجهها مبتسما وتحتضنه وتلوح له بيدها وهي تتلاشي في اتجاه البر الثاني من المتوسط .

عاد ليلتها حزينا وقد اخبر زوجته بما حدث وقد واسته زوجته والتي كانت شغوفه لرؤيه كاتينا الام الثانيه لزوجها لكنها دائما كانت تراها من خلال حكي زوجها عنها

كان يعلم دائما ان تواجد زبيده هو المعاناه بحد ذاتها وكانت امه كثيرا ماتشتكي منها لكنه كان يهدئ من امه بان ظروفها هي ما تدفعها لذلك

حتي كان الخامس من يونيومن العام ١٩٦٧ حينما سمع بالراديو دخولنا الحرب وصوت المذيع يعلن عن كم الطائرات المتساقطه للعدو

وهو يهلل فرحا مع الناس بالشوارع وقد انضم للناس لتكوين جماعات الدفاع المدني للدفاع عن المدينه ومجموعات للهلال الاحمر

وقسم الشباب الذين يجوبون الشوارع للاطمئنان علي اطفاء النور وحمايه البنايات والبنوك والمؤسسات الحكوميه والتنبيه علي الناس بطلاء زجاج البيوت باللون الازرق

وكلما استمع لصوت المذيع وهو يعلن عن اعداد الطائرات ازداد تهليلا لكنه يستشعر بداخله خوفا لايعرف علي مدار الساعات التي مرت لما كان يداهمه

ذهب الي منزل شقيقته وطيب خاطرها واحضرها هي وامه الي بيت شقيقته بالدور الارضي وايضا انزل زوجته حتي يكونوا بامان بعد ان وضع شباب الدفاع المدني اكياس الرمل امام مداخل العمارات والمحلات والادوار الارضيه بالبنايات

كان يجري متحمسا طيله اليوم والخوف يجسم علي صدره حتي افاق علي سماع هزيمتنا واحتلال سيناء وان كل البيانات التي هلل لها كانت كذبه

كذبه كبري عاشها وهو يجري بالشوارع يشبه الطير المذبوح يعتصره الالم والخذلان ويبتلع دموعه وجعا يصل للروح وهو غير مصدق عينيه حين افاق علي الجنود العائدين ومنظر ارجلهم التي تورمت من

الجري بالصحراء وهم فاقدين لاسلحتهم وادميتهم واجزاء من اجسادهم وقبلها كرامتهم

كان يعاونهم ويخفف عنهم مع اهالي البلد المصدومين لكنه كان يحتاج من يخفف عنه فقد كبرياءه ويلعن بكل لحظه تصديقه واذاناه التي سمعت خبر انتصارنا

اخذ نفسه منسحبا الي شقته بالدور الاخير من البنايه دخل حجرته وقرر ان يغلقها عليه والا يتناقش مع احدا ولم يتذكر انه ما تناول طعام من اكثر من يومان كان مايستشعره هو خيبه الامل هو فقد الامان

لم يدري اي وقت مر عليه منذ ترك الشارع وصعد الي شقته وايضا لم يصعد احد من اسرته للشقه فالكل يعلم انه بالشارع مع الناس

لم يدري امر عليه يوم او اكثر حينما فتح عيناه علي الظلام لم يكن هناك ضوء بالشقه وفي لحظه شك انه فقد بصره وتناسي مامر من احداث وكأنه فاقد لذاكرته

قام من مكانه وفتح الشباك كان اليوم كابي والسماء حزينه فقد كان هما يجثو علي صدره وحزنا مخيما بالاجواء عندما، تناهي لسمعه صوت عبد الناصر من الراديو بالشارع جري الي الداخل وفتح التلفزيون وجلس يستمع فأذا به يستمع الي جمله وحيده (لقد تنحيت

وبكامل ارادتي) لم يكمل الخطاب بسرعه البرق كان ارتدي ملابسه وهو يصرخ مرددا . لا .

في لحظات كان يذوب وسط الناس في الشوارع لم يدري بنفسه الا وهو وسط الجموع بميادين القاهره كانت الناس تهتف وهو يهتف حتي ضاع صوته وسط ضياع الناس لم يهدأ الا وقد اتاهم صوت مكبرات الصوت يعلن عن تراجع ناصر عن التنحي

وجد نفسه يجلس علي مقهي بميدان التحرير تذكر انه لم يتناول اكل او شرب من ايام وانما تناول الكثير من السجائر التي كان يجد نفسه احيانا متلبسا بشرب اثنان في ان واحد

قادته قدماه مترجلا الي حي الحسين وهناك بدأ الامان يتسلل الي نفسه وهو يتأمل الحي العريق والعماره ا لتي تهفو اليها النفس والمأذن بشموخها وهي تعانق السماء وخاصه مئذنه الازهر بتميزها كانت يمشي بغير تخطيط مسبق حتي قادته قدماه الي شارع الموسكي وهناك اخذ يتفرج علي الناس الحزينه ويستمع الي رواياتهم وحواراتهم ؛ كان هناك العديد من محال المأكولات لكنها مزدحمه يبدو ان معظم الناس كانوا قد تناسوا ان ياكلوا ايضا خاصه وجميعهم اتي من بلدان مختلفه سواء بحري او الصعيد وكان ذلك واضحا من زيهم

توجه الي محل للمأكولات وجد فيه مكانا يمكنه ان يجلس فيه .

تناول الغذاء الذي طلبه والذي اتي به الصبي بسرعه وقام وحاسب الصبي علي تمن الغذاء؛ ثم ترجل الي مقهي من المقاهي الشعبيه باحد الشوارع الجانبيه ليشرب قهوته في هدوء ويعطي لنفسه مساحه للتفكير ويتذكر كيف اتي الي القاهره

احتسي القهوه وهو يستمع الي المذياع والذي كان يتسلل صوت محمد فوزي منه بأغنيه (بلدي وصباي واحلامي)

مسح دموعه عن عينيه وقام بعد ان ترك ثمن القهوه في الصينيه بجانب كوب قهوته الفارغ دون ان ينادي علي صبي القهوه

توجه الي سيدنا الحسين دخل الي المسجد بعد ان خلع حذائه وتوضأ واغتسل ثم توجه مباشره الي المقام قرأ الفاتحه وتحسس المقام بيديه ثم اخذ يصلي كل الصلوات التي مرت ولم ينتبه انه لم يصليها

بعد ان انتهي صلي ركعتان ترحما علي الشهداء ثم اسند ظهره للمقام وراح في بكاء طويل واضعا كلتا يديه علي وجهه وكأنه يداري وجهه خزيا وعاراوهزيمه

لم يدري كم مر عليه من زمن وهو علي هذه الحال حتي وجد يدا تربت علي كتفه فرفع وجهه عن كفيه وجده شيخا كبير السن يحمل ملامح وطيبه وابتسامه والده قام علي ركبتيه وامسك بيد الرجل الحانيه وقبلها ؛ جلس الرجل بجواره متحدثا معه بهدوء وقال له :

اعلم مايدور بنفسك يابني ، الهزيمه قاسيه علي انفسنا ياولدي ، لكنها كبوه الحصان الذي سرعان ما ينطلق من جديد .

ان الخير مازال موجودا والنصر لابد حليفنا والوقت ليس وقت البكاء او الندم الوقت هو وقت الاستيقاظ والتدبر وقت جمع الهمم؛ ثم نظر مليا في وجهه وقال له :

بلدنا الان لاتحتاج دموعنا لكنها تحتاج قوتنا والي مناصرتها والوقوف بجانب ابنائنا الجرحي واسر الشهداء ؛ ثم مد يديه واخذ يده ووضع له بها سبحه بها رائحه اقرب لروائح الجنه نظر ليده ورأي السبحه فابتهج ورفعا الي انفه يشتمها لتنفرج اساريره ويبتسم وينظر الي الشيخ فلا يجده ؛ نظر حوله في انحاء الجامع لم يجده

سأل احد الموجودين في الجامع عنه لكنه ذكر له :

انه لم يري احدا وانه طوال الوقت كان يشاهده واضعا يده علي وجهه وظهره للمقام.

نظر ليديه بهما السبحه ورائحتها تملأروحه بالراحه خرج من الجامع وهو يتلفت باحثا عن الشيخ الذي اتاه واهداه السكينه لروحه لكنه لم يجد له اثرا

فـي طريقـه اشـتري البخـور وبعـض الحلويـات فقد تـذكر عائلتـه وقـرر السفر فورا للاطمئنـان عليهم وايضـا كـان التعب الجسماني قد احل بـه وهـو يشـتاق ان ينـام ويبـدل ملابسـه ويرمـي بـبعض المـاء علـي جسـده الذي امتلأ بالعرق مع يوم صيفي قاسي في حرارته

في العربه التي كانت تقله الي بلدته كان الليل قد بدا والطريق الضيق موحش في الظلام وعربات الجيش تتنقل شمالا وجنوبا علي الطريق تنقل الكثير من الجنود

والاشجار علي جانبي الطريق كانت كأنها وحوشا ستنقض علي العربه التي يستقلها فيغمض عينيه محاولا طرد اي افكار من ذاكرته

شيئا واحدا كان يطمئنه ويقلقه في ان واحدا وهو السبحه التي وضعها بجيبه وكلما اخرجها من جيبه ليشتمها كان الركاب يعقبون بكلمه الله علي روايح الجنه ؛ وكان هو نفسه احساسه عندما اخذها من الشيخ او وضعها الشيخ بيده

الشيخ ذاك المجهول الذي ظهر فجاه واختفي فجأه ماهي العلامه التي جاء بها

كـان لايـؤمن بالخرافـات ولا العفاريـت ؛ وكيـف يظهـر عفريـت بجـامع الحسين ؛ ابتسم بينه وبين نفسه وقال :

لعل الله اراد ان تهدأ نفسه فأرسل له هذا الرجل وان الرجل بالجامع لم يراه لعله كان مستغرقا بصلاته او في قراءه القرأن اقتنع بذلك وقد انتبه ان العربه وصلت الي المدينه فحمل اشياؤه متوجها الي بيت اخته حيث تتواجد الاسره بكاملها هناك ؛ كانت الشوارع مظلمه والقهاوي فتحت علي استحياء مع تلوين زجاجها بالزهره الزرقاء وبيوت المدينه كلها اكتست بالازرق النيلي نوافذها ومصابيحها

شوارع المدينه كابيه عكس القاهره؛ القاهره بها حياه اما هنا كان يشتم رائحه الموت والانكسار والهزيمه

كانت الاصوات الاتيه من الشارع سواء صوت المذياع بأغانيه الحزينه او صوت دردشات الناس تأتي بخلفيه راسه فقد تمكن الشيخ صاحب ملامح ابيه من تفكيره وكأنه يهرب من الهزيمه والاحداث التي تلتها في سرعه بهذه الروايه اوالرؤيه فهو عاجز عن تفسيرها او تبريرها ؛ لكنه اقنع نفسه بان الرجل حقيقه وان الرجل بالجامع لم يشاهده

دخل الي البيت فاستقبلته اسرته بالترحيب وايضا باللوم لعدم اطمانانهم عليه لمده ثلاث ايام ؛مندهشا تساءل:

هل تغيبت عنكم ثلاث ايام ؟

اكدوا جميعا انه متغيب عن البيت ثلاث ايام وانهم سألوا عنه زملاءه بالعمل وبالاتحاد الاشتراكي وايضا الدفاع المدني ولم يعرف احد اي شئ

وان هناك واحد في الاتحاد الاشتراكي قال لهم احتمال انك نزلت مع الناس القاهره في المظاهرات التي كانت تنادي بعوده عبد الناصر بعد الوكسه

قالتها امه ورنت بأذنه وسمعها جيدا لكنه اراد التأكد فقال لها :بعد ايه ياحاجه ؟

ردت عليه : الوكسه هما بيقولوا نكسه لكن انا باقول عليها وكسه؛ ايوه يابني اتوكسنا واتضربت طياراتنا وضاعت ارضنا ؛ كل ده يبقي ايه غير وكسه

مصدقا علي كلام امه هز رأسه موافقا وقام لينام وكانت اخته قد اعدت له مكانا للنوم بعد ان اخذ حماما وغيرملابسه واخذ ابنتها بحضنه واستسلم للنوم

كان الجميع في حاله قلق مما يجري من احداث وايضا قلقهم عليه وهم يعلمون انه يعاني ولايصرح ولم يسألوه اين كان فقد تركوه يستسلم للنوم وهو سوف يحكي عندما يكون مستعدا

وجد نفسه بعد ان ارتدي ملابسه وهبط الدرج مسرعا وسط امواج من البشر تدور في دوامات وتتعالي الاصوات بالرفض لتنحي عبد الناصر

لم يدري الا وهو راكب سياره من السيارات التي حملت الالاف المتجهين للقاهره لكي يعترضوا علي تنحي القائد وايضا اصرارهم علي رفض الهزيمه

كانت الهتاف السائد (هنحارب) يحمل الاصرار والوجع والتأكيد علي اخذ الثأر

نزل بميدان المحطه وسار مع الجموع التي اتجهت وهي تهتف قاطعه شارع الجلاء ومتجهه الي ميدان التحرير

لم يكن هناك موضع لقدم بل كانت الجماهير هي ماتدفع بالسائرين وتحدد وجهتهم

ظل الامرطيله الليل والي منتصف اليوم التالي حتي وصلهم خبر تراجع عبد الناصر وتلبيته لنداء الجماهير

عندها بدأت دوامات البشر تتسع وتتسع لتفسح مجالا للرؤيه وللهواء في هذا الجو الخانق والمشحون بالحر والحزن معا عندها لمح قهوه بالميدان فتوجه لها وجلس علي كرسي احضره له صبي القهوه

القهوه كانت مزدحمه والجميع يجلس محاولا اراحه قدميه بعد يوما ونصف اليوم كان الجميع يقف ويهتف

اخترقت رائحه البخور انفه واختلطت مع رائحه السبحه وجاء ابيه يربت علي كتفه حاملا معه كل ماكان يحبه من حلويات ولعب

قام واخذ اباه بالحضن ونام مطمئنا لكن اباه ايقظه لكي يذهب الي المدرسه

فتح عيناه مبتسما فاصطدمت عيناه بزرقه عيني امه التي كانت توقظه فقد نام طويلا

بحث عن الطفله بجانبه كانت قد استيقظت وخرجت بعيدا عن مكان نومه بعد ان وضعت بيده الحلويات ليأكلها عندما يصحو وتقليدا له لما يفعله معها اثناء نومها

استيقظ وسأل امه عن رائحه البخور ؟

اخبرته انها قامت بتبخير البيت من البخور الذي اتي به وانها ايضا وجدت الحلويات فوزعت علي الاطفال وان ابنته اخذت مايخصها ودخلت عنده

ضحك من اختلاط الواقع بالحلم وقد افاق بعد ان شرب كوب القهوه من يدي اخته الصغيره وحكي لهم كيف انه نام ليله بالبيت وانه نزل من البيت واتجه للقاهره

تناول الرحله كلها الا مقابلته مع الشيخ شبيه ابيه بالحسين

لايعرف لماذا لم يحكي هذه الواقعه ولم يجد تفسيرا لاخفاءها لكنه اخفاها

انشغل الايام التاليه بمتابعه توفير التموين بالبلد وتذليل الصعاب للسكان والحفاظ علي وضع اسرته كما هم جميعهم مقيمين بشقه اخته بالدور الارضي

توقف عمله بعد ان اغلقت القناه واحتلت اسرائيل الضفه الشرقيه للقناه فيما عدا بورسعيد

فكان لزاما ان يتواجد العاملين بالهيئه يوميا مقسمين انفسهم علي ثلاث فترات

في الوقت الذي كان فيه بعيدا عن منطقه عمله كان يجتمع في مقر الاتحاد الاشتراكي لبحث المستجدات ومتابعه غرفه العمليات الخاصه بالدفاع المدني وخاصه بعد اي هجوم طيران علي المدينه ومحاوله استهداف مقرات الجيش عن طريق القصف بالطيران

عندما تكررت هجمات الطيران والغواصات من البحر علي المدينه استشعر الخوف علي اسرته واقترح عليهم ان يتركوا المدينه لمده بسيطه حتي يزول الخطر

خاصه وان معظم جيرانهم ومعارفهم قد تركوا المدينه وسافروا الي مدن اكثر امنا

اقترح هو ان يسافروا الي المنزله عن طريق البحيره فهي اكثر امنا من القطار ربما القطار يرصد من طائرات العدو

نصحهم بجمع اشياء بسيطه من ملابس واغطيه وهناك سوف يتصرف هو ويجد لهم سكنا

كان كل مايهمه ان يبتعد الاطفال المذعورين من تتابع ازيز الطيران ودوي القصف

تعهدهو بتوصيل العائله من السيدات والاطفال الي المنزله وايجاد مكان مناسب لتسكينهم وترك زوج اخته وابنها بالبلد

لانهم كانوا بالدفاع المدني

تغير خط سير الرحله وبدلا من الذهاب الي المنزله ذهب بهم المراكبي لقريه قريبه من الجماليه فأتجه بهم للمدينه الاقرب وهي دكرنس

حـاول البحـث لهـم عـن سـكن بعـد ان تهـرب منـه اعضـاء الاتحـاد الاشتراكي بالبلده واحس بتوجس لكنه لم يقف عنده ترك اسرته وعاد سريعا الي بورسعيد لمتابعه الامور

المدينه لم تعد المدينه التي يعرفها غاب عنها صخب الاطفال وبشاشه الوجوه اصبحت تصطبغ بالازرق والاصفر لون زجاج ا لنواقذ تحول كله للون الازرق الغامق واجوله الرمال الصفراء تغطي مداخل البيوت والمحلات والقهاوي

تمركـزات الجنـود علـي ناصـيه الشـوارع شـاهرين مـدافعهم المضـاده للطائرات توجه الي مقر الاتحاد الاشتراكي كي يمارس اعماله ومتابعاته وجد كل شئ تغير

لم يعد في لجنه العشرين كانت هناك وجوه جديده يعرفها ويعلم فسادها وانتهازيتها لكنها قرارات انخذت مركزيا باستبعاده وزملاءه وعندما سأل لم يجد اجابه

خذلتـه الهزيمـه وخذلـه تباعده عن مكانـه الـذي كـان يخـدم النـاس مـن خلاله وبدون اي مبرر ولا اجابه

ادرك وقتها ان المسافات تباعدت بينه وبين العاصمه وانه لو دخل هذه المعركـه مـع هـؤلاء الاشـخاص الـذين سـيطروا علـي مجريـات القـرار السياسي لابد وانه مهزوم

اختفت الوجوه التي كان يألفها حتي الاجانب المتواجدين بالبلد والذين حملوا بعضا من طباعها رحلوا عن المدينه لم يطل الامر بهذا الخواء حيث عاد سكان المدينه تباعا بعدهجرها لمده نقارب علي الشهر

عادوا عازمين علي عدم ترك مدينتهم وبيوتهم واعمالهم

وعادت اسرته وكل منهم عاد الي بيته الام وشقيقته الكبري الي بيتهم واخته الصغيره باولادها الي بيتها وزوجته ومعها ابنه اخته الي بيتها

رويدا اعتادوا اصوات الطائرات وصفارات الانذارواصوات المدافع المضاده للطائرات

حينها فقط يلجأ الجميع للخنادق المجهزه اسفل العمارات وحين تنطلق صافرات الامانا لجميع يعود الي بيته مع تقصي ماتركته الغاره من خساير في المباني والارواح

كان هو يفقد يوميا جزء من امله في الصمود وعوده الارض والامان حتي بعد معركه ايلات وماحققته القوات البحريه من انتصار كان يبتهج قليلا وسرعان مايعاوده التوجس والخيفه

كان يخرج احيانا خارج نفسه ليندمج مع جيرانه في سهرات يجتمعون فيها في منزله للتسريه عن انفسهم وعنه ويتبادلون فيها حل مشاكلهم لم

يجد مبررا لنفسه حين ثار في وجه جارته صاحبه الاحد عشر ولدا وبنتا حينما قال لها :

كنتي بتخلفي كل دول ليه؟ كان كفايه نصهم انتي بتبيعي ولادك ؟

انخرطت الجاره في بكاء مرير؛ ولكنها لم تغادر مكانها اما هو فقد صدم مما قاله وتسمر بمكانه .

تكهرب الجو وساد صمت لف المكان كان يقطعه بكاء جارته بحرقه وبصوت مسموع.

مر زمن بسيط والجميع في حاله صمت حتي قامت زوجته الي جارتهم واحتضنتها دون كلام .

اخذ هو المبادره وتحرك ناحيتها وامسك برأسها وقبلها معتذرا ومبررا ماقاله بأنها اخته وان ابنتها ابنته وهو خائف عليها من هذه الزيجه التي من الممكن فشلها .

ودعاها للقيام معه للجلوس في الفرنده لكي يشربوا القهوه سويا وطلب من زوجته اعداد القهوه لهم بعد اعتذاره للموجودين عن انفعاله .

عاد الجو لهدوئه ومرحه بين النسوه والاولاد المتواجدين وقامت زوجته بأعدادالقهوه له ولجارتها وتركتها لهم عائده الي جيرانها .

اما هو فقد امسك كوب القهوه بيده واعطاه لجارته مبتسما فتناولته من يده مبتسمه وهنا ادرك ان الزعل قد زال او انه لم يكن موجود من الاصل .

بادرت جارته بالكلام بأن قالت :

اسمعني ياشامي

ابتسم ابتسامه كلها موده الاخ الذي يطبطب علي روح اخته قائلا لها:

انا اسمعك جيدا ولن تتركي مكانك حتي ننتهي من حل هذه القضيه.

ارتشفت بعضا من قهوتها فاشعل لها سيجاره علي سبيل التدليل اخذتها منه وبدأت تحكي وهو منصتا تماما لما تقول

(البنت حواليها كلام كتير وانت اتدخلت في مشاكلها كتير واللي هيه بتحبه امه رفضت جوازه منهالاننا بقينا فقرا وانت عارف مصاريف الولاد وابوهم كل يوم يقف من صباحه ربنا لاخر الليل لمايقدر بالكاديبيع تلاته او اربعه كيلو هريسه مكسبهم مايجيبش حق العيش الحافى ابن خالتها اتكلم عليها لماهاجرنا شهر بعد النكسه وانت عارفهم مقتدرين وقال مش عاوز شوار ولا حاجه انا عاوزها والبت وافقت وفرحنا وقالواطالما وافقت خلاص نكتب الليله ولما نرجع البلد تتجوز ووافقنا وابوها كلم المأذون ييجي بعد المغربيه واستعدينا وبالفلوس اللي

معاناجبت الشربات وبليته وجبت دستتين جاتوه وقلت افرح البت وليله وتعدي واهو من لحمها ودمها

البت لبست واتزوقت والمأذون وصل وجيراننا هناك اتجمعوا وبدأت الزغاريد والبنات يغنوا ويرقصوا والعريس لسه ماجاش

ساعتين واحنا مستنيين وهو بيتهم بينه وبيننا عشر دقايق لما المأذون قلق بعت له من ورا ابوها ابني اطمن فيه ايه

لقيت الواد جاي وعينيه كلها دموع وبيقوللي :

بيقولوا لكم هاتوا العروسه والمأذون والمعازيم بيتهم لو عاوزين تتموا الجوازه هما مركزهم مايسمحش انهم ييجواعندكوا وكفايه انه هايتجوزها بعد مارفض حبيبها يتجوزها .

البت سمعت الكلام ده قطعت الفستان اللي عليها وقعدت تصرخ وانهارت وابوها حلف يمين عليه ان الجوازه دي ماهتم وكانت فضيحه رجعنا بعديها البلد وقطعت علاقتي بأختي من يومها وانت شايف حال البنت عامله ازاي لابتتكلم مع حد ولا بتقعد مع حد قافله علي نفسها الدنيا حتي انت ماقدرناش نحكيلك اللي حصل

كسره النفس وحشه قوي ياشامي واستطردت :

انا لما بكيت مكانش منك كان من اللي جوايا ومش قادره اقوله ولا اصرح بيه وانا ماصدقت البت يجيلها واحد غريب عن البلد لايعرف قصه حبها والا اللي عمله ابن خالتها قولت اجوزها يمكن ربنا عوضها خير هو جالنا عن طريق ناس في البلد اللي كنا مهاجرين فيها يعني عارفين موضوع فرحها اللي ماكملش وهو هيدفع مهرها وشبكتها وهياخدها كده زي ماهي علي بلده البنت شافته وعجبها وهو ابن حلال باين عليه وابوها عامل زيك وبيقوللي هاتبيعي بنتك

طب لو انت مكاني والبنت كل يوم بتفقد ثقتها في نفسها وبتتحسر علي اللي اتعمل فيها وانا خايفه احسن يفوتها قطر الجواز وتبقي زي عمتها

بس عمتها هي اللي كانت بترفض عشان مش من مستواها انما بنتي هي اللي بتترفض عشان مستواها ؛ انا حكيت لك كل حاجه اهو وعاوزه رأيك وصدقني اللي هاتقول عليه هو اللي هيكون)

"كانت هي تحكي وتتكلم وهو مستغرقا فيما يعرفه عن علاقه ابنتها بحبيبها ؛ وكيف كان ندلا معها بعد ان احبته اكثر مما ينبغي ؛ وكم كان يعنفها وينصحها من وراء اهلها ولكنها لم تكن تستجب لنصيحته ؛ وان امها فعلاعلي حق البنت لن تتزوج بأحد من ابناء المدينه وهم يعلمون بعلاقتها السابقه هو نفسه حاول مع ابن اخته الكبير واغراه بأنه سيتحمل تكاليف كل شئ لكنه رفض "

(تمتم بينه وبين نفسه معذوره الام تريد ان تستر ابنتها لوعلي حساب فراقها هي هزيمه اخري تضاف لهزائم ارواحنا)

بادرها قائلا :

الف مبروك انا سأقنع ابيها ولنبدأ من الان في التحضير لفرحها ولأشياءها وهي ستنزل غدا مع زوجتي لأحضار كل مايلزمها من ملابس ؛ا لبنت لازم نشرفها امام عريسها ولما تبقي في بيته يجيبلها هو اللي هو عاوزه.

وفرحها هنعمله في بيت ابوها والهيصه هنا في السطوح يالا خلونا نفرح؛ الفرح مخاصمنا من زمن

ابتهجت جارته وشكرته لتفهمه وقامت تزغرد وتبشر ابنتها والموجودين بأن فرح ابنتها قريبا

اكتملت الافراح عندما تزوجت البنت من الغريب القادم من دول الخليج لتزف اليه مودعه بلدها واهلها الي هناك حيث المجهول للجميع

وفي الاسبوع التالي تزف ماري ابنه الست ام عياد الي ابن خالتها فتتزين ببيته وتضع يدها في يده كي تركب معه السياره متوجهين الي الكنيسه لتدخل بيديه وسط ابتهاج الجيران والاهل والاحباب ليسلمها

لعريسها لاتمام مراسم الزواج ويتجه هو الي ام النور ليضئ شمعه مع دعوات باكتمال سعادتها

لحظات من سعاده الروح يقتنصها خوفا وانتظارا وتوقعا للأتي والأتي ليس ببعيدا.

كان يعلم الهزائم المتواليه للروح وكم مر هو شخصيا بتلك الهزائم طيله حياته لكن الهزيمه التي اكملت علي الروح وامرضت الجسد هي تهجيره من بلده الي الاسكندريه

لقد انفصل عن بلده وذكرياته وعائلته فمقر عمله قد نقل الي الاسكندريه اما عائلته امه واخته زينه وزوجها واولادها وزوجته هاجروا الي طنطا بالدلتا وكم كانت فرحه امه وقتها وهي تجاور شيخ العرب واستأجروا بيتا كبيرا يعيشون فيه هذه الفتره العصيبه من حياتهم

اما زبيده فقد ذهبت لتستقر ببلده زوجها عند اولاده بالارياف لتجاور ارضها وهم هناك يعتبرونها الكبيره فهي ارمله كبيرهم وكانت تزور امها واخوتها علي فترات متباعده

وهو سيكون وحيدا بالاسكندريه بعيدا عن البلد والاهل والاصدقاء فيما عدا زملاء العمل .

الاسكندريه وحيدا هو والبحر والذكريات تأخذه قدماه الي الكورنيش بعد انتهاء العمل لساعات طويله سيرا بمحاذاه الكورنيش يتأمل البحر ويتحاشي وجوه البشروعندماينال منه التعب يجلس علي الحجر متأملا زرقه البحروسماءه ويستعيد ماكانت تحكيه كاتيا عن الاسكندريه فقرر ان يصنع ماكانت تصنعه من تأمل المباني والبشر

ثم يعود حيث السكن الاداري مع بقيه زملاءه يتناول غذاءه ويخلد الي النوم .

وكثيرا مادعاه زملاءه للذهاب معهم الي السينما او قضاء بعض الوقت خارج السكن علي القهوه للعب الطاوله كان دائما يرفض بحجه الاجهاد.

كان هو الوحيد الذي يعلم لما هو يتحاشي وجوه البشر ولما يصر علي الوحده والسير وحيدا كان داخله هاجس قديم وهو كيف سيواجه الامر اذا ما وجد نفسه وجها لوجه امام حبيبته وكيف سيتصرف بعد كل هذ ه السنين فمازال وجهها يطارده ومازالت مشاعرها وتذكرها يحرك بداخله الوجع ممتزجا بالحنين .

كان دائما يتحاشي التواجد كثيرا بشوارع المدينه وكل ماكان يربطه بها العمل والكورنيش

وكانت اسعد اوقاته حينما تحل اجازته الشهريه وهي اسبوع بالكامل سيكون وسط عائلته والاولاد ويري وجه امه الصبوح ويستمع الي دعواتها التي تعطيه دافعا للحياه

وايضا الاستئناس بزوجته وبشاشه وجهها والاطمئنان علي اخته واخبارها والاولاد

كان الاسبوع وسط الاحبه يمر سريعا ليجد نفسه مره اخري ووجها لوجه امام الاسكندريه

تلك المدينه التي يحمل لها مشاعر مختلطه وصريحه فهويكرهها صراحه منذ سرقت منه حبيبته وهو يحب بحرها وزرقه سماؤها والتي دائما ماتذكره بعين امه ودعواتها ونظرتها المحبه .

كان صراعا يتناوله في صحوه ونومه ولم يسطع فك اشتباكه وترك الامور تسير علي ماهي عليه

كانت تلك الليله ليله من ليالي الشتاء القاسيه وكانت النوه من النوات القاسيه حاول ان ينام كانت البروده تسري بقدميه وهويسمع صوت الرعد وتنير الحجره بضوء البرق ح لساعات طويله كان صوت المطر يهطل وهو يحب المطر ويعشق السير فيه لكن هذه الليله بردها قاسي يجمد الاطراف فقام الي السرير محاولا النوم مستعينابغطاء اضافي وجورب وضع قدميه فيه .

تسللت الرائحه الي انفه وملأت الحجره وتوقف صوت المطر وكف الرعد عن ازعاجه واختفي ضوء البرق الذي كان يملأ الحجره

استشعر الدفا يسري بأطرافه فقام من السرير واضاء المصباح وجد الرجل يجلس علي الكرسي المقابل للسرير مبتسما وناداه ان يجلس علي طرف السرير قبالته

استجاب له وجلس امسك بيده ووضع فيها بعضا من زيت طيار رائحته نفاذه من زجاجه عطر بيديه ومسح له علي جبينه ببعضا منه ومبتسما قال له :

الم يحين الوقت لروحك ان تستكين ؟ طيله حياتك راضيا وتسير تتبعك هزائمك الم يحن الوقت للمواجهه ؟ انت لم تقف مع نفسك وقفه حقيقيه 'كنت تستجيب لضربات القدر والبشر سواء وتسير راضيا بشوشا بما يقسم لك

متي تثور علي نفسك ؟ ومتي تحبها ؟

خسائرك كانت تتابع في اصرار وتتبعك وانت كنت لها راضيا مبتسما.

لقد كبرت ياولدي ،واراك تعبت ،الم يحن وقت الحساب بعد ؟

كان يسمعه وعينيه في الارض 'لم ينظر في عينيه ، لم يفكر حتي في الاجابه علي سؤال من الاسئله التي طرحها.

وعندما رفع عينيه ليرد لم يجد الرجل؛

كان النهار قد اوشك علي الطلوع ، ازاح الغطاء عنه وقام ليفتح الشباك وينظر للخارج لهذا الجو البديع برغم رماديته لكن السحب ترسم اشكالا تدعو للبهجه

ملأ رئتيه بالهواء النظيف وابتسم عندما رأي السبحه التي كانت معه من ايام زيارته للحسين اشتم يداه وجد رائحتهم معبأه بالزيت النفاذ الرائحه لم يجد مبررا للوقوف امام ذلك .. لعله امسك السبحه وهو مستغرق بالنوم

ارتدي ملابسه واتجه الي عمله وعندما فرغ منه خرج للتجول لكن هذه المره علي غير عادته فقد توجه للمدينه بشوارعها وبنياتها العريقه واخذ يتأمل المعمار فيها والذي يشبه المعمار ببلده الي حد كبير دخل الي محل للاسماك وتناول وجبه من السمك المشوي والارز وكان يتأمل وجوه البشر وكأنه يري بشرا لاول مره منذ نزوله الي الاسكندريه.

انتهي من غذاءه وتوجه الي مقهي قريب ، احتسي قهوته وشارك الناس الابتسام والكلام وكأنه يكتشف انه ليس بمدينه للاشباح ولكن مدينه يسكنها بشر .

تكررت جولاته بالمدينه وتنوعت وكان يستغرق ساعات في السير وتأمل البيوت وكل النقوش المتواجده علي جدرانها والشبابيك ، واحيانا كانت

تقوده قدماه الي قلعه قايتباي ليشتم رائحه الهواء المشبع باليود ويجلس ليتأمل زبد البحر وهو يصنع اشكالا اسطوريه علي سطح الماء .

واحيان اخري كان يذهب لميناء الصيد ويقرب من الصيادين ويحاورهم ويري الاسماك وهي تتلوي وتقفز فيتذكر مقوله امه (احنا زي السمك لو خرجنا من بورسعيد نموت) ويبتسم متمتما لقد خرجنا يا أمي اترانا احياء ام اننا اموات نسير علي قدمين

اسعد لحظاته كانت عندما يصل الي جامع المرسي ابو العباس ليصلي ويشتم رائحه الجامع والمختلطه بعبق التاريخ واليود

اندمج بالمدينه وكثيرا ماصاحبه في جولاته اصدقاءه وزملاءه بالعمل والسكن واحيانا مجامله لهم كان يذهب معهم للسينما او الي المقهي للعب عشرتين طاوله.

وتأتي وسط ذلك اجازته لينزل الي طنطا ويتفرغ لعائلته وايضا لجوار شيخ العرب ويعاود مره اخري الي الاسكندريه محملا بزاد من دعوات امه ومحبه زوجته واخته وايضا بكثير من مشاعر الابوه لابنته ولاولاد شقيقته

لايذكر من يومه هذا الا انه وفي جولاته في شوارع المدينه كانت الاذاعات كلها تذيع القرأن الكريم لم يسأل ولم يخطر بباله ان الليله ستكون اسوأ مامر عليه بحياته الا عندماسمع البلد جميعها تصرخ

والنساء تجري بالشوارع تشق ملابسها حزنا فتوقف لكي يعرف ماجري وكانت الصدمه "مات ناصر"

انسحب من الشارع قاصدا سكنه وتوالي شريط الذكريات امامه يوم حملوا ابيه الي البيت وكيف كان اخلائهم لبيتهم التابع للهيئه وكيف لم يهملوهم يوما واحدا

رأي امه وهي تجلس علي الارض بالشارع وحولها اثاث بيتها واخته وهي تجمع الاشياء من علي الارض والتي قذف بها العمال للشارع غير منتظرين لحين جمعها ، كانت ذكرياتهم علي قارعه الطريق ، كانت اخته تضعها بالصناديق الخشبيه ودموعها تبلل ملابسها

كان اليوم هو المعادل لفقد ابيه ووجد نفسه يجهش بالبكاء ويصرخ علي ابيه اين انت لاتتركني

لم ينتبه احدا لصراخه فالبلد جميعها يصرخ ويبكي علي الزعيم وهو يبكي علي ابويه

دخل في حاله من الاكتئاب واعتكف الحياه والناس مره اخري ، فكان يذهب الي عمله ويعود ليغلق عليه بابه وينام طوبلا احيانا ينام لليوم الثاني

عندما جاء ميعاد اجازته الشهريه لم ينزل الي اهله وفضل قضاءها بحجرته بعيدا

لكنه بعد يومين من تمضيه اجازته وجد طرقا علي الباب ففتح وجد زوج شقيقته الصغري ومعه ابنته جاؤا لقلق الجميع عليه

تبدل الحال قليلاعندما جاءت ابنته والتي اجتهدت باخراجه من حالته بحجه انها لم تري الاسكندريه وتريد ان تراها بعيونه وتري ماكان يحكي عنها

لفت نظره ان البنت ترتدي الاسود فلم يمر بعد اسبوعان علي وفاه ناصر وعندما سألها قالت له كلنا بالمدرسه ارتدينا الحداد حتي يمر الاربعين

لاحظ بالشوارع ان الجميع يرتدي السواد الكبير والصغير فأدرك ان الحزن كبير بحجم مصر واوجاعه

كانت الطبيعه ايضا حزينه فقد اكتست باللون الرمادي الكئيب انه الخريف لكنه هذا العام مختلف فهو خريفا لليتم

ارضاءا لزوج اخته نزل معهم الي طنطا ليقضي باقي اجازته مع وعد من زوج الاخت ان يتركوه لاحزانه لكنهم يريدون الاطمئنان عليه

كانت الاجازه الاسوأ للجميع فهو حتي لم يبتسم ولم يهتم لسماع اخبار العيله من والدته

ودعته امه وهي تقبل رأسه وتدعو له بالسلامه محاولا الابتسام في وجهها ودعها وغادر مسرعا

لم يكن مهيأ لسماع موت ناصر، نعم لقد تباعدت المسافات بينه وبين الناس بعد الهزيمه والتنحي ولكن بعد عودته من التنحي لم يعد ناصر ابن الشارع والناس فلقد انفصل هو عن الناس وكان تركيزه كله علي الجبهه لكنه موجود كان دائما هو السند وهو الرمز لكن ان يموت فجأه كما فعل ابيه كيف يستند الان

هزيمه جديده للروح تتبعها الهزائم المتواليه فلقد انفصل هو عن ناصر يوم استبعدوه من لجنه العشرين وصنعوا الف جدار بينه وبين ناصر لكنه موجود مثل كل الاشياء النبيله الموجوده مثل حبيبته التي تحيا بنفس المدينه هي موجوده لانه يعلم وجودها

كان يهزي من شده الصدمه ووفعها عليه ويحاول التماسك

عاد الي عمله ومع مرور الايام كان يستشعر العجز الذي يضرب روحه وخاصه ان الهجره عن بلده طالت والبلد في حاله من اللاسلم واللا حرب

كان لايطيق سماع اخبار او خطب الرئيس الجديدهو وقف به الزمن عندعبد الناصر واشتراكيته وبدأ ينسحب من العمل النقابي والعمل العام شيئا فشيئا كما انسحب في اعقاب التنحي مجبرا من الاتحاد الاشتراكي.

وركز اهتمامه باسرته وعمله وجولاته التي عاودها مره اخري بالاسكندريه مقسما اياها الي احياء لكل حي عده ايام للتأمل في وجوه البشر وفي البنايات ، مره لبحري واخري لحي الرمل وثالثه لكامب شيزار وكوم الدكه والقلعه وجليم وسيدي بشر

عاش الاسكندريه طولا وعرضا من تاريخها الروماني واليوناني الي القبطي والاسلامي

وكان يعودبعد كل جوله مسجلا في نوته صغيره كل مارأه حتي يعطيها لابنته دليل لها علي حب المدن والحجاره والناس وداعيا لها لمعرفه الزمان وهو التاريخ وعلاقته بالمكان وهي الجغرافيه هكذا كانت حياته مابين العائله في اجازاته والتي زادت الي عشره ايام فكانت فرصه للغوص اكثر في مشاكل الاسره واحتياجاتها وايضا للجلوس مع الحاجه والاستماع لاخر الاخبار العائليه والعامه

لم تنقطع علاقته بجيرانه في السكن فقد كان يخصص يوما كل شهر من اجازته لزياره عائله منهم وهم قد تفرقوا مابين القاهره والزقازيق والمنزله والمنصوره

كان يتابع اخبارهم واحوال الاولاد ويطمئن علي دراستهم ويعود الي طنطا محملا بالاخبار والسلامات منهم لاسرته

حتي اخبرته الحاجه بزياره خالته روحيه التي جاءت خصيصا من دمياط لزيارتها وايضا للكشف عند الطبيب

كانت الحاجه تحكي وهو يدري ان هناك شيئا تريد ان تتفوه به لكنها لاتجرؤ

لم يقف كثيرا عند الخبر بل تمني لخالته الشفاء وعرج علي موضوع اخرسريعاادركت الام بحسها انه لايريد الاسترسال

عاد الي الاسكندريه وعاد الي ممارسه طقوس السير والاكتشاف والدهشه ثم العوده الي البيت ليدون في النوته وينام حين سمع طرق علي الباب ،قام ليفتح وجد سيده ممتلئه القوام وبيضاء لكنها ترتدي الاسود مبتسمه وتمد يدها له مصافحه ، مد يده وصافحها وهو مستغربا وزادت دهشته عندما دخلت وجلست علي الكرسي قباله السرير

اعتذر منها وطلب منها الجلوس بالصاله حتي يرتدي ملابسه لانه كان بملابس النوم ويأتيها للخارج لان هذا سكن اداري وغير مخصص بالزياره في الحجره الخاصه

قامت السيده وخرجت فأغلق الباب وارتدي ملابسه وخرج مرحبا بها حذرا

فباغتته متسأئله:

الا تعرفني ؟

اسقط في يده واحرج من السؤال وكيف يجاوب فأعتذر متحججا بأنه يعاني في تلك الايام بعضا من نسيان طالبا منها ان تعذره . هو لم ينظر الي وجهها وقبل ان يرفع عينيه لوجهها ابتسمت السيده وصرحت بأسمها فقام منتفضا من مكانه وكأنه قد اصيب بصاعق في جسده ، يا الله هي حبيبته وحبيبه عمره، تبا لهذا الزمن ، ماذا فعل بك ؟ومماالذي اوصلك لهذا ؟ ولما ترتدين ملابسا للحداد ؟

اسئله كثيره طرحها علي نفسه وهو يدعوها للجلوس بعد ان هزته المفاجأه .

استدرك سريعا مرحبا بها وداعيا لها للخروج والذهاب للجلوس في مكان عام يتناولوا اي شئ ويستمع لها ولاخبارها

وصلوا الي ميدان الرمل ودخلوا الي المحل الانيق وجاءهم الجرسون فطلب شاي وجاتوه ومبتسما لها مداريا توتره واندهاشه وعنصر المباغته التي تم بها اللقاء

عمر طويل اعوام كثيره مرت عليهم وهو لم يكن يري منها الا وجهها وابتسامته وهذه الملامح الطفوليه والتي كانت تصاحبه في رحله الحياه.

اختفي كل ذلك لم يبقي منه غير نظره العين التي مازالت تشي بالحب

ـ" هزائم كثيره مرت واحباطات واخفاقات وموت وحرب وهجره وهو صامد لم يستشعر الكبر الا الان،

ياه الي هذا الحد كبرنا يبدو انني لا انظر الي المرآه ."

ويبدو انها ادركت فيما يفكر فبادرته علي الفورقائله :

لم تتغير ياشامي، مازلت كما انت بنفس الوسامه والهدوء

استرعي انتباهه لفظه " الشامي" من اين عرفتها ؟

قالت له في زيارتي لخالتي في طنطا مع امي كنت هناك كي اذهب الي الدكتورفي المنصوره لااكشف وهي قريبه من طنطا وقابلت زوجتك سيده رائعه فعلا حلوه المعشر والطباع وكانوا يذكرونك بالشامي وعرفت

سبب التسميه واحببتها واردت ان اناديك بها في لقاءنا الاول بعد هذا الغياب.

واستطردت :

لا تلومهم انا التي جعلتهم يقسمون بحياتك الا يخبروك بشئ حتي افاجئك بالزياره وهم وفوا بالوعد

لقد قضيت يومان كانوا من اسعد ايام حياتي ، تذكر انه في اجازته هو من حول سير مناقشه امه وغير الموضوع ويبدوا انها كانت تريد ان تخبره لكنه لم يعطها الفرصه فهو من غير الموضوع وذهب لمناقشه موضوع اخر.

جلس وقتا مع ابنه خالته يستمع اليها والي اخبارها فهي عندها من الاولاد اربعه ولدان وبنتان تزوجت البنت والولد الاكبر ومعها اثنان في مراحل التعليم الجامعي وقد توفي زوجها وترك لها محل الحلويات وبيت صغير تسكن احدي شققه في الابراهيميه .

ابتسم حين قالت الابراهيميه وسألته لما تبتسم ؟

اجابها :

هو الحي الوحيد الذي مازرته ولا تجولت فيه في الاسكندريه

ردت :

خلاص هتزوره وهتعرفه شارع شارع وعطفه عطفه والولاد هيفرحوا بيك اوي

ردعليها : قريبا ان شاء الله

سريعا بادرته :

بكره هنتغدي سوا اهو منه تعرف البيت وتتعرف علي الولاد وناكل عيش وملح سوا

رد عليها ضاحكا :

عيش وملح داحنا اتهرينا عيش وملح واحناصغيرين سوا

بس مش عيش وملح كان حلويات شاميه كلها منقوعه في ال.عسل الصافي " تنهد" كانت ايام .

ترك النقود للجرسون وقام وهي تتقدمه واوقف تاكسي واتجه بها الي حي الابراهيميه حيث سكنها وعندما وصلت الي البيت نزل ليسلم عليها واشارت هي الي المحل قائله :

هذا محلنا بس هو قافل دلوقتي وده البيت احنا بالدور الثاني

وسلمت عليه وهي تقول له :

بكره الجمعه سننتظرك بعد الصلاه ، اومأ لها برأسه بالموافقه وتركها وركب التاكسي منطلقا الي سكنه وكل مشاعره مختلطه مابين الدهشه والخوف والوجع والانين ولم يكن من بينها في هذه اللحظه مشاعر الحب .

في هذه الليله دخل الي السرير وراح في نوم عميق لم يحلم ولم يقلق كل مايعرفه انه نام وحين فتح عينيه كانت الشمس تملأ حجرته .

قام وتوضأ وصلي الصبح تناول افطاره وحضر نفسه لصلاه الجمعه ولم يتسأل عما حدث بالامس .

بعد صلاه الجمعه دخل الي محل للفاكهه واحضر افخر انواع الفاكهه ووضعها بداخل صندوقا وذهب معه ولد صغير يحمل عنه الصندوق

طرق علي الباب ففتح له شابا وسيما الباب يشبهه الي حد كبير في سنه مبتسما قال :

اهلا ياعمو اتفضل ، دخل بعد ان سلم علي الشاب وحمل الشاب الصندوق من الطفل وجاءت الام مرحبه وهي بملابس ملونه وتاركه شهرها الذهبي ينسدل علي اكتافها وبدأت تبدو عليها بعضا من ملامحها في الماضي.

لحظات ودخلت حبيبته او كما كان يراها بهت للحظه فبادرته هي :

ابنتي الصغيره يقولون انها نسخه مني في صغري انت اللي تحكم ياشامي بذمتك شبهي .

مبتسما قال:

انها لم تترك منك شيئا الا واخذته حتي صوتك

ابتسمت الصغيره وبادلته بعبارات للترحيب وماهي الا لحظات حتي اتي ابنها المتزوج وزوجته وابنتها وزوجها والاحفاد اطفال بعمر العام والعامان وامتلأ البيت ضجيجا وضحكا وامتدت السفره وتباروا في عزومه خالو وتقديم الاكل والاهتمام به

ابتسمت هي وارادت ان تغير طريقه مناداتهم له :

قولوا ياشامي او ياعمو.

لكنه اصر علي مناداته بخالو وقال لها:

الخال والد وانا خالهم وابيهم من الان.

لمح الاطمئنان بنظره ابنائها بعد مقولته ودعوه للجلوس بحجره الجلوس فهي اوسع ومريحه اكثر لكي يتناولوا الشاي لكنه طلب فنجان من القهوه المظبوط..

تطوعت شبيهه الام بعملها وقدمتها له مبتسمه وشكرها بحنو الاب وبعد وقت انقضي في الضحك والكلام ومعرفه بعضهم اتوا اليه بالبوم صورهم

وقام الابن الاكبر بالشرح له في كل صوره عاش وقتا مع ذكرياتها ورأي كم كانت سعيده مع زوجها

العيون لاتكذب حتي بالصور، عيناها كانت سعيده وكان الرجل يستحق ،فهو محبا وحنونا ومنحها اولاد رائعين وهي تستحق هذه الاسره وهؤلاء الابناء

انتهت الزياره علي وعد بتكرارها وتعهده انه خالهم ومن حقهم عليه تذليل اي صعوبه او مشكله لو صادفتهم لاقدر الله وتركهم مودعا علي وعد بلقاء اخر.

اثر في رحله العوده الي سكنه ان يتجول في حي الابراهيميه يتأمل بناياته ووجوه البشر وبعدها انطلق الي الكورنيش في جولته المعتاده يشتم رائحه الهواء المشبع باليود والحريه

حريه روحه وتحررها من وجع ظل يضغط عليه طيله عمره وكيف كان يخشي المواجهه

كان الزمن كفيلا بأزاله كل المراره وما كان يسجن نفسه فيه اكتشف بعد عمر انها جدران وعوازل صنعها هو بنفسه لنفسه وكان يستعذب السكن بداخلها .

كانت روحه المنطلقه في تلك الليله كفيله بجعله يطير علي اجنحه من الشوق لهذه الزوجه التي تحملت منه علي مدار سنوات وقد كانت تعلم ومع ذلك بحب تحملت .

في اول اجازه كان بين اهله يروي لهم ماحدث ويخبرهم عن اسرتها واحفادها وهو يضحك حينما يستعيد انه لم يعرفها وانه ادعي انه ينسي كثيرا

كانت زوجته تشاركه الضحك من قلبها حين نظر اليها وقال لها :

اعملي حسابك هتيجي معايا المره دي اسكندريه .

وسط اندهاشها بادرها قائلا :

لازم نعمل زياره لهم وكمان عشان افسحك انت عمرك ماروحتي اسكندريه، وتزوري ابو العباس المرسي والا انت جاورتي البدوي وخلاص. ايدته امه بذهابها معه وشجعتها لتقضي اياما وحدها مع زوجها.

ابتسمت زوجته وقلبها يرقص فرحا فقد ازال بدعوته اي خوف او شكوك كانت بنفسها .

اصطحب زوجته معه ونزل بها في لوكانده بمحطه الرمل فهو لايستطيع اخذها معه الي السكن الاداري المخصص للعاملين ولا يرضي ان يفاجئ ابنه خالته بزوجته واقامتهاعندها. انما هو اراد ان تستشعر زوجته ايضا ان هذه الرحله لها ومن ضمنها زياره لابنه خالته بالمره .

كان يذهب الي عمله ويعود مصطحبا زوجته للغذاء ثم الفسح والتمشيه علي الكورنيش وزارت ابو العباس المرسي واخذها الي زنقه الستات لتشتري ما يروق لها وايضا هدايا للحاجه واخوته البنات ولبنته .

دخل الي محل للصاغه كان قد لفت نظره ان زوجته وقفت عنده لتتأمل معروضاته واشتري لها خاتما من الذهب كانت سعيده جدا به بالرغم ان معها الكثير لكن تقديره لها كان يسعدها .

بعد ايام اتصل بابن ابنه خالته في محل الحلويات واخبره انهم هو وزوجته سيزورونهم في المساء

وصل مع زوجته والتي رحب بها الجميع وقد كانت محمله بالهدايا من طنطا لهم وللاحفاد ، قضوا سهرتهم وتناولوا العشاء معهم ، حاولت ابنه خالته استبقاء زوجته للمبيت لكنه وعدها بزياره قريبه .

ودعه الاولاد مع السلامه ياخالو، ففرحت زوجته جدا لهذه المناداه .

اطمأن قلب زوجته بعد زيارته واحساسها ان مشاعر زوجها لابنه خالته هي مشاعر اخ لاخته .

نامت مطمئنه ومبتسمه اما هو فقد جلس بجانبها يتأمل هذا الوجه المبتسم والذي عاشره كل هذه السنين بدون ان يتأمل تفاصيله المريحه للقلب قبل العين .

في الصباح اعدت حقائبها واستعدت لحين عودته لكي تسافر وعند عودته قال لها انه سوف يوصلها الي طنطا فهو لايأمن ان يتركها في الطريق وحدها

وكان احد زملاءه قد اعطاه يومان من اجازته كي يرافق زوجته في طريق عودتها

كانت سعيده بصحبته في طريق عودتها فهي ولاول مره منذ زواجها تكون مع زوجها وحدها بدون اخرين

وقد اكتشفت انه نفس الزوج حلو المعشر والامين عليها حتي في غيبتها

وصلوا الي طنطا واستقبلتهم الام بشوشه وفرحه بزوجه ابنها وقد اعدت لها اطيب الاكل من صنع يديها

قامت الزوجه لتهدي حماتها شالا من الحرير احضرته لها من الاسكندريه وتقبل يديها شاكره لها علي المحبه التي ربت عليها الشامي والتي لمستها في رحلتها عبر عمرهما معا ولمستها اكثر في الايام الماضيه والتي كانوا فيها معا

ابتسمت الحاجه وربتت علي رأسها بحنو قائله لها :

انت غاليه غلاوته عندي."ده انتي بنتي التالته"

كانت الفرحه تملأ قلبه وهو يري الود بين امه وزوجته ومر اليومان سريعا وعاد الي عمله وسيرته الاولي التجول في شوارع المدينه وينتهي بالبحر ويعود الي سكنه ليخلد للنوم

كان رمضان علي الابواب وهو يعلم ان امه لن تستشعر الشهر وقدومه الا اذا كان معها بالليله الاولي ويعد لها السحور بيديه

اتفق مع زميل له ان يبدل معه الاجازه هو يأخذ اول رمضان وزميله بعده بعشره ايام ووافق زميله فلم تكن له اسره يذهب اليها لكنه كان يذهب الي شقيقه وزوجته بالصعيد والطريق يبتلع تصف الاجازه وهناك يضطر ان يحبس حريته ويمنع نفسه من التجول بالشقه حفاظا علي حريه زوجه شقيقه

نزل الاجازه بدلا من زميله مع وعد بأن يحمل اليه بطه محشيه من تربيه الحاجه ومن صنع يد هاا وبعض المأكولات والحلويات ايضا .

انتهت اجازته في تاسع يوم من رمضان وعاد الي الاسكندريه محملا بالمأكولات التي صنعتها امه والحلويات لزملاء السكن الذين قابلوه مرحبين وفرحين انهم سيتقاسمون الافطار معا .

في اليوم التالي ذهب الي العمل وانهي يومه وفي طريق عودته كان الناس يتجمعون امام المحلات التي تصنع الكنافه والقطايف وتهلل .

في البدايه ظن ان الناس تجمعت للشراء وبعد فتره بسيطه استمع للتهليل صادرا من البيوت وتسائل :

كانت الاجابه انها الحرب لقد دخلنا الحرب الان مع اسرائيل ، اهتزت الارض تحت قدميه ولم يهلل فلقد تذكر يوم هلل وجري بالشوارع يردد انتصرنا ثم كانت الهزيمه

عاد الي السكن وجد ان زملاءه يهنئونه بالانتصار وسمع بالراديو للبيانات المتتاليه فبدأ ينتبه انها الحرب وان له ولهم دورا فيها .واننا بالفعل نعبر الهزيمه فأستعاد روحه القديمه

علي الفور اتصلوا بالشركه التي استدعتهم علي عجل وهناك تشكلت اللجان للدفاع المدني والاسعاف ورعايه اسر المجندين وزياره المستشفيات والتبرع بالدم .

ذهب الي المستشفي وهناك شاهد الحرب فعلا كان الجرحي يرددون عباره واحده "الله اكبر"

كانت بطولاتهم اكبر من ان تروي، واختفي الشخص امام الكل ماذا يساوي هو او اوجاعه امام من فقد قدمه او ذراعه او عينه وهو يبكي انه جرح ،ولم يكمل المعركه

كان مايراه ويسمعه ويتابعه عبر شاشات التلفزيون او الاذاعه اكبر من استيعابه وقد احس فعلا بقرب العيد.

اتي العيد بعد ان تحررت اجزاء من سيناء وعاد العلم المصري يرفرف عليها مره اخري

كان طعم الفرح والعيد منقوصا بسبب وقف اطلاق النار والثغره لكنه ذاب فيما تحقق.

نزل الي اسرته وكان العيدعيدين لكن ماكان ينغص عليه هو استمرار غياب اسماء كثيره من الجنود هل هم اسري ام استشهدوا ام ضلوا الطريق مثلما ضل جنودنا في يونيو الطريق

وايضا لقلقه الشديد علي ابناء اخته الاثنين وهم مجندين ومن وقت الحرب لا احد يعلم عنهم شيئا

بعدفتره من البحث جاءت الاخبار مطمئنه بسلامه اولاد اخته وبدأت الامور تهدأ.وعاد هو الي الاسكندريه ليتابع عمله ويتلقي خبر قرب عودتهم للمدينه التي غادرها مكرها .

كان يهيئ نفسه للعوده اخيرا سيعود الطير المهاجراو تعود الاسماك الي البحر من تاني

كانت ايام تركهم لبلدهم قاسيه جدا علي الجميع لكن قسوتهاكانت تزداد شراسه مع عمال البحر ومن كان لايملك عملا حكوميا وعاش هؤلاء حياه مذله باعوا فيها كل شئ حتي حياء وجوههم وهم ينامون بمخيمات اكتر من عائله بخيمه واحده

كان هو من اوائل العائدين للتجهيز لاعاده افتتاح قناه السويس فكان لابد من تواجدهم قبلها بفتره وقبل عوده سكان المدينه للتجهيز وايضا عاد جميع الرجال للاستعداد لاستقبال العائدين

وعندما جمع اشياؤه تذكر ابنه خالته والتي لم يزورها ولم يتصل بها من فتره فقد اخذته الاحداث العامه واحوال البلد عن التفكير فيها وفي اولادها.

وهي ايضا لم تسأل عنه ولم تهتم لمعرفه اخباره لكنه اتصل

تليفونيا بأبنها بالمحل وسأله عن احوالهم وطلب منه الزياره لرؤيتهم وتوديعهم حيث سيترك الاسكندريه خلال ايام عائدا الي بلده

لم تعجبه طريقه ابنها في المحادثه وتوهم انه غاضب منه لعدم السؤال عنهم في الفتره السابقه وقال:

عندي مبرري وظروف الحرب وتوالي الاحداث لم تتيح لي التفكير او السؤال .

ذهب في المساء استقبلته الابنه الصغيره شبيهه والدتها وما ان سلمت عليه حتي ارتمت باحضانه باكيه مما زاد من حيرته وشكوكه وسألها اين امها؟ اخذته من يده لحجره الام التي ترقد في سريرها والهزلان يبدو عليها واضحا .

انقبض قلبه وجلس بجانبها ممسكا بيديها محاولا الفهم والاطمئنان عليها.

كانت عيناها مملؤه بالدموع واشتم رائحه يعرفها جيدا " انه الموت قادما لامحاله "

كانت تحاول الكلام لكن كلماتها كانت تتساقط منها حروفا بلا معني

ظل جالسا الي جوارها وهو يمنع دموعه من السقوط لكنه لم يستطع منع روحه التي داخلها الحزن

لحظات ودخل الي الحجره ابنها بصحبه الدكتور الذي تنحي له لكي يقوم بالكشف عليها

لكنهالحظات واخبرهم الدكتور بالنهايه، انهار الابناء وانهار هو ايضا وبسرعه استجمع بقايا شجاعته ليأخذ الابن الاكبر لاتمام اجراءات دفنها

كان الحزن يخيم علي الجميع وكان هو متماسكا كعادته في هذه المواقف الشائكه والمربكه

بعد مرور يومان وكان قد اخبر امه وزوجته اللتان حضرتا للوقوف بجانب البنات

سافرت زوجه وامه وفوجئ هو بالابن الاكبر يختلي به في غرفه الصالون ويغلق الباب قائلا له :

(الان لن تعد لك صله بنا فقد اتخذناك خال من اول لحظه رأيناك فيها اما بعد ماتفوهت امنا وصرحت بحبها لك وانها لم تحب ابانا طيله حياتها فقد حكمت هي علي علاقتنا طبعا كلنا سمعنا ماقالته امنا فقد

كانت تنادي باسمك طيله فتره مرضها وسمعناها وهي تسب جدنا لاجبارها علي زواجها من ابي

ستقول لنا اتها تخاريف المرض ولا ذنب لك ونحن ما ذنبنا

كلما رأيناك ستتجسد كلمات امنا لتصنع بيننا وبينك جدار من العداوه ونحن نحبك فلا تجبرنا علي كراهيتك)

قام مصافحا ابنها وخرج متجها الي باب الشقه واغلقه وراءه وبسرعه كان يجري وكأنه يجري من المجهول الي المجهول

كانت المشاعر التي انطفأت يوم وجدها قد اشتعلت اكثر بعد موتها ووقع كلمات ابنها والحوار الذي اجراه معه كأنه اسواط تلهب مشاعره من جديد

ذهب الي القلعه وانفجر هناك باكيا كل الايام التي مرت والتي لم تمر وتمني ان يخرس صوت ابنها الذي كان مازال يرن ويتردد بأذنيه "لا تدفعنا لعداوتك فقد احببناك "

حين أتت النهايه وجد انه لايعرف النهايه أيضا وان الاخرين لايعرفون النهايه ٠لان النهايات لاتعرف ٠ النهايات هي النهايات ٠

ظل يبكي طيله الليل وهو جالسا بجوار البحرولايدري كم من الزمن مر عليه لكنه قرر انها ليلته الاخيره بهذه المدينه التي كرهها مقررا ،ان يعطيها ظهره مابقي من العمر.

ذهب الي سكنه وجمع اشياؤه وانطلق الي المحطه قاصدا طنطا التي وصلها مع الفجر.

ادخل اشياؤه الي البيت وخرج ليصلي في رحاب السيد البدوي وماتزال دموعه تغرق روحه المهزومه بفعل ضربات القدر.

بعد ان فرغ من صلاته جلس حتي تنتهي اثار هزيمته ولو من الخارج ولتبقي النفس مهزومه من داخلها .

خلع الجاكيت الذي كان يرتديه ووضعه جانبه وجلس وهو يستعيد حياته منذ كان طفلا والصدمات تتوالي الواحده تلو الاخري وهو مستسلما او مسلما لها .

جلس بجواره احدهم وربت علي كتفه فنظر تجاهه هو نفس الشيخ الذي اهداه السبحه ولكي يتأكد من وجوده فقد امسك بعباءته واحكم اغلاق يده عليها

ابتسم الشيخ محدثا اياه :

انا الحقيقه الوحيده بحياتك ، وجودي مستمد من وجودك ، انت من تستدعيني بلحظات الازمات الكبيره بحياتك ، انا وجودك الذي تبغي ان تكون موجوده .

استعصي كلام الشيخ عليه واراد ان يستفسر منه اكثر ، مسترسلا تمادي الشيخ مستكملا حديثه :

انت محب للحياه والخير ، وكلما قست عليك الحياه كلما استدعيتني لتنهل مني الصبر والمقاومه ضد القبح والشر الكامن بالحياه ونفوس البشر .

انا ابيك الطيب الذي طالما احتويتك بين ذراعيي حبا وخوفا عليك من حياه قاسيه وبشر اقسي .

انا دعوات امك في صلواتها وهي تدمع بمحبتك .

انا قلبك شقيقتك الصغري معلقا بقلبك المحب الواهن .

انا فرحه زوجتك بلقياك وبمحبتك وبرجولتك معها .

انا دعوه بنت ساهمت في سترها يوما وكان الجميع يسعي لتدمير حياتها

انا لحظه شبع لطفل مددت يدك بأطعامه ومسحت عنه دموعه التي اغرقت وجهه وجعا

انا دعوه لمظلوم ناصرته يوما حتي عاد له حقه.

انا كاتينا المحبه للحياه والتي دفعتك للتلم وامدتك بطاقه حب كافيه لتوزعها علي البشر.

بهت من اجابه الرجل وراح يفكر فيها والدموع تنال علي وجهه فرفع يديه لكي يمسح دموعه ومدها مره اخري ليمسك بالرجل .

وجد نفسه يمسك بالجاكيت الذي خلعه ومن شده التعب نام وهو بجواره.

كانت زوجته هي الملجأ الاخير حيث تتواجد يتواجد معها الامان

عندما عادت البلد كمدينه للسكني عاد السكان بعد الاعمار وافتتحت القناه وعاد هو الي عمله ورحلاته اليوميه للعبور للقناه ومتابعه طائره المفضل النورس .

ويعود للبيت ومن اعلي يتأمل البشر والمدينه التي فتحت للاغراب.

وتتحول ذكرياته فيها الي انقاض ، الجميع يتغير والكل يتبدل والفقير يغتني والغني يفتقر ، ضاعت المعالم والهويه مع علب الكانز

والاصباغ واللبان وانقلب المصري الي صيني وهونج كونج وسنغافوره وتايواني .

تحولت شنط المدارس الي كراتين لبيع المستورد وبدله حماده

لم يبق له من المدينه سوي خطواته التي تقوده الي البحر والحسره علي البشر اللذين ماعادوا بشرا.

كان حضن زوجته ملاذا للهرب فيه يبكي وينتحب هي الحقيقه الثابته من يوم عرفها، وكانت هي تدرك حجم معاناته وغالبا ماحدثت نفسها وهو بحضنها انه طفلها الكبير

كان رجلا وغريبا ٠كان يمشي ويمشي ،ويسال ويسال (انا عشت معه) لكنني لم اره هناك ولم اره هنا ٠

لمحته واقتربت منه ٠كان يمشي ويمشي والطرقات كانت امتدادا لجسده النحيل الذي يتداعي وهو كان يبتعد ٠

لم يكن يعرف اكثر من كلمات قليله لاتصلح لشئ لانها كلمات ٠

وماذا يفعل رجل بكلمات ؟

لم يسال لانه كان يمشي وكلماته تمشي الي جواره وتتداعي الي جواره وتتساقط كانها أوراق تتساقط من اغصان شجره هرمه٠٠

كانت زوجته تدرك بأن النهايه حتميه فهو ينسحب جزئيا من الحياه ويغلق علي نفسه نفسه ولا يبوح وهي ترفض وتقاوم بكل ما اوتيت من قوه تحمل .

لم تعد مبادئه تصلح لهذا الزمن ولم يعد هو من يستشار، اصبح الجميع يجري وراء الماده يلهث تعويضا عن سنين الجفاف في الهجره ولم تعد ليالي السمر القديمه غير ذكريات

حتي السطوح ابناء الجيران هجروه الي غير رجعه، انشغل الجميع باعمالهم فلقد كبروا واكتسبوا عادات كثيره جديده من المدن التي هاجروا اليها ومنهم من تزوج واصبح لديه مسؤلياته. اصبح يري معارفه والابناء الذين ساهم في تربيتهم مصادفه وعلي عجل الجميع متعجل الحياه تتسارع بأحداثها، الحيا ه تتغيروهو قابع بمكانه وكأن الزمن توقف داخله وهو يأبي ان يتحرك الي ماقبل الهجره.

كانت اللحظه التي عندها قرر المغادره الفعليه يوم ان وطأت قدم رئيس مصر "القدس المحتله "

وقتها صار يضرب رأسه رأسه بالحائط حتي ادماه وهو يصرخ " لاااااااا"

كانت تلك اللحظه التي قرر فيها الانسحاب تماما من الحياه ويمني نفسه بالنهايه

كان رجلا وغريبا ٠وكرجل مشي٠٠ مشي الي موته ٠راي موته علي مقربه من يديه ٠لكنه مشي

كان يمشي ويسال ولم يجاوبه احد ٠

ثم وقف وصار يجاوب ٠لم يكن يعرف الاجوبه لكنه كان يجاوب ٠هل احترق٠؟هل ذاب فوق القبر ؟

لم يعد بالمدينه لان المدينه التي اتي اليها من البعيد قد غابت ممكن تكون غارت في العيون او ذهبت الي البحر اوابتلعتها الذكريات ، لكنها غابت ولم يعد البحث عنها ممكنا٠٠

لم تعد المدينه ممكنه ٠ولم يعد الرجل٠٠٠

ظل بغيبوبه لمده طالت عن الشهرين ظن الجميع انه انتهي ولا عوده

كانت الصدمه كبيره لم يحتمل قلبه الخيانه ولم يسامح لكنه رأي دموع زوجته وابتنه وكان يعلم عجز امه عن الحركه بعد فقد احدي قدميها نتيجه المرض.

من هو الرجل الذي سيمشي بجنازتها ويتلقي فيها العزاء

ومن سيقف بجانب زوجته الوحيده بالحياه .

عاد الي الحياه نعشا يسير علي قدمين ، صوره باهته من حياه رجل كان يحياها .

ظل يعاود امه يوميا للأطمئنان عليها كانت تكبر وكان يكبر معها كل يوم الف عام كانت امه تتحسسه بكلتا يديها وتمر علي وجهه ببراعه نحات قام بنحت هذا الوجه بيديه لتتأكد انه هو فقد اصبحت لا تميز صورا او اصواتا لكنها تميز وجهه ورائحته

وكان هو يموت باللحظه الف مره وهي تتحسس وجهه وابتسامتها لاتفارق وجهها وكأنها رساله له ليطمئن

وقف كجزع شجره ثابته في الارض وتضرب بجذورها الي باطن الارض يتلقي فيها العزاء .

احس بعدها باغترابه فقد انقطع الحبل السري بينه وبينها وكيف سيتصل بالحياه بعدها .

لقد اصبح عاصمه لليتم ماتت كاتينا وحبيبته ثم امه وهو يقاوم الحزن بمحبه الحياه، لكن القلب تعب والايام تتسرب من بين عمره وهو لم يعش ولم يدري والفقد ضروره من ضروريات حياته ، اعتاده ولكنه لم يألفه فقد اتعبه الفقد .

عاد ليلتها مكوما علي نفسه كجنين داخل الرحم بحضن زوجته التي احتوته وبثته غرامها وكأنها تحاول مجددا اعادته للحياه .

في اللحظه التي انتهي فيها من زوجته نام علي ظهره ممدا وفاردا ذراعيه ليحتوي احد ذراعيه زوجته وقال لها:

اتعلمين انني شجره بلا فروع وجذوري لم تضرب في قلب الارض وانني احرث دائما بلا زرع.

ارض بورجدباء ممكن تكون صخر او ملح لكنها ابدا جدباء

استوعبت الزوجه حالته فهو في حزن مميت بفقد امه وهي تتالم من داخلها لكنها لم تظهر اي تعبيرللحزن علي ملامحها ،تمنت لو في هذه اللحظه بالذات حدثت المعجزه وكان ثمار حرثه في تلك الليله طفلهما .

كان رجلا وغريبا ،وكرجل سار الي موته لم ،يحاول احد ان يقترب منه ،رأوه وكان في البعيد وكالبعيد كان كنقطه تصير الي دوائر وكدائره تتلاشي في نقطه بعيده وفي البعيد كان نقطه تذوب وتذوب لكنها لاتتلاشي .

ترك عمله وسوي اموره الماليه واعطي زوجه مايؤمنها ووضعه لها بحساب بالبنك بأسمها وقرر قضاء الباقي من عمره في اجازه مفتوحه

اخذها بعدها الي رحله طاف فيها البلد من الشمال للجنوب من اسوان والاقصر للوادي الجديد ومن طنطا لدسوق جاب مصر طولا وعرضا الا مدينه واحده لم يزورها كانت الاسكندريه ، وفي كل بلد يزورها يقصد اولياء الله ويزور الكنائس ليضئ الشموع للعدرا.

بعدها عاد الي بلده يقضي اليوم في التأمل والليل في النوم مستعينا عليه بالمنومات

انحسر كلامه ولم يعد عنده رغبه في الضحك وقاطع الجرائد اليوميه ونشرات الاخبار

كان يري بعيون الحسره مدينته وهي تخلع ثوب البساله لترتدي بدلامنه النخاسه والكل بيبيع

من باع ارضه وبيته ومحله الي من باع ابناءه . طغت الماده علي النفوس وتحولت المدينه الي نفايات

حتي الحجاره التي كان يتأملها ويتأمل زخارفها ازيلت وحل محلها الابراج العاليه وتحولت الي اسواق للبيع والشراء

كان يري ويتأمل ويأكله الصمت ولايستطيع الصراخ فلقد فقدت الاشياء معناها وفقد البشر اذانهم.

فبماذا تفيد الكلمات ؟ في زمن اصبح لكل شئ تمن الا الكلمات ..

اثر الصمت والثوره بداخله تقتله ومحاوله البحث بداخله عن اي معني يجعله متعلقا بهذه الحياه لا يجد .

كانت الدومات بداخله تكبر وتكاد تبتلعه وهو عاجزا حتي عن التعبير.

تمكن الخوف منه خوفا من مجهول هو ذاهب اليه لامحاله . وهو لايعلم ماهو ؟ ولا يدري كيف سيواجهه ؟

كان رجلا وغريبا ٠وكان يمشي الي موته قاصدا المدينه البعيده التي اشعلوا فيها النيران٠٠

وفي النيران كانوا يموتون ويخافون ٠وفي النار تكتب حكايه تبدأ حيث كان ينبغي ان تنتهي وحين تنتهي تكون وكأنها لم تبدأ٠٠٠

كان رجلا وغريبا ٠وقف وحيدا٠جلس وحيدا ٠حزن وحيدا٠ثم قرر ان يمشي ويدور حول الأرض ٠مشي ومشي احس الوحده والفراغ ٠وكأن سورا مستديرا يرتفع ويرتفع ويحول بينه وبين الناس ٠شعر بالخوف

كان يضع يده بيد زوجته يوم الحت عليه ان يخرجا سويا لتغيير الجو وهذه رغبه تتمني تحقيقها . كان يمشي حذرا خائفا يحاول ان يستند عليها خشيه السقوط فقدماه لم تعد تألف المدينه والمدينه لم تعد تعرفه

تاهت الوجوه المألوفه وسارت الوجوه غريبه حتي القديمه منها سارت مسخ .

كان يرجو زوجته ان تتعامل هي مع البائعين واصحاب المحال التي كانوا يشترون منها اشياؤهم .

فلقد اختلفت اللغه لغه البيع والشراء وادرك انه لا يجيدها ولايعرف التعامل بها .

ادرك ليلتها العزله التي اصبح فيها فهذا الزمن ليس زمنه .عاد يومها عازما علي عدم الخروج مره ثانيه كان يكره النور ويظل حبيس غرفته مغلقا نوافذها طيله النهار لايخرج منها الا اذا حل المساء وسادت الظلمه .

كل شئ فقد معناه لم يعد للاشياء طعم ولم تعد الحياه حياه .

انسحب بهدوء الي حجرته واغلقها عليه خائفا مذعورا وفي الظلمه تمدد عازما الا يعود .

اتاه الشيخ الطيب ذو الابتسامه وملامح ابيه الحنونه مد له يده امسكها وقام معه سار به للاسفل وهو مبتسما وممسكا بيديه كان يسير معه .

النهايه

مشي والليل والنهار يتعاقبان فوق جسده المنهك يمشي وذلك السور المرتفع يمشي حوله ،احس بالعطش٠مشي اوقاتا لاتحصي وحيدا تعثر في مشيته والجوع والعطش وارهاق الأيام الطويله ٠

شعر كأن عظامه تكاد تتساقط فتذكر الشجره وكيف كان يتخيل الرجل دائما ماهو الاشجره مملؤه بالاغصان –احس الخوف وكاد يسقط علي الأرض ،مشي وهو يسأل ولم يعد ينتظر الجواب

قال:

لقد اشتاق جسدي الي التراب وعظامي تسعي الي الراحه "احس بنعاس شديد٠٠النوم سوف يأتي جسده " ،شعر انه يستطيع ان يتمدد علي مساحه بيضاء لاتنتهي ،وهبط الرجل الي الأسفل ،وكان الأسفل عميقا، هبط اكثر وبدا الأبيض يختفي والظلام ينتشر –فتح الرجل عينيه – فتحهما اكثر فاتسعت العينان الي مالا نهايه "لاأري" قال٠٠ "سكن "

شعر ان قوه تدفعه الي الأسفل الاشواك تخرج من جسده ليل طويل يمشي في ليل طويل ٠لايسأل ولايري –يمشي يشتم رائحه البحر– قالت زوجته :

"كل شيء ساكن يدور ويدور يبحث عني قبل ان تقوده قدماه الي القبر "رأيته يعطيني ثوبا أسود ويرميني وسط الغابه ٠لم يعلمني ان ابكي لكنني بكيت"

جلس وبكي وعدما وصلت دموعه ألي شفتيه تذكر طعم الملح

الحكايه لاتنتهي لأن الحكايات لاتنتهي

احس الرجل بحزن لم يعرفه من قبل كبرت احزانه ومخاوفه

ظل وحيدا –نام طويلا–كان يحاول ان ينهض يفتح عينيه لكنه لايري٠٠٠٠

والمعتقد انه مازال نائما– بدأت الحيوانات تألفه وتحوم حوله وتمشي فوق جسده الملقي وتخلت عن عدوانيتها معه

وجدت في جسده مكانا تنام فيه –وظل هو يشعر ان جسده صار ثقيلا لكنه لايري كان ينام وينام ولم يستيقظ ابدا

لم يكن سوي غريبا يرقد بجوار البحر لايتحرك من مكانه ليلا او نهارا

كان ينام تجاه البحر ولايتكلم مع احد ، وقالت زوجته :

"فكر ان يموت –تمتم بها مع نفسه –توسلت اليه ان ينتظر لم يسمعني او لعله سمع وتجاهل توسلاتي "

بعد ازمنه لانعرف من اين أتت وجد الرجل نفسه وهو يحوم ويحوم حول القبر –ووجد نفسه يقترب اكثر واكثر واقترب

توسلت اليه قالت زوجته : لماذا لاتبقي ..

لم اعد اعرف –لااحد يزور القبر والقبر يأتي ولاأ حد يأتي الي القبر

انتهي كل شيء ولم نعد نستطيع شيء

ننتظر امام البحر

نأتي الي القبر وننتظر

ننجب الأطفال وننتظر

يموت الجميع وننتظر

ورائحه المدينه التي تفوح بالجثث

يدفنها الناس وتنتظر

وصوت البحر مازال . والامواج . ترتطم بالزهور التي تخرج من جسده

فقد كان رجلاً... وغريباً